حجر الزاوية المقدس

✯

... يقظة عميقة ، تنبض نبضاً ، في كل عرق من عروق الجزيرة ، وتتجسد اعصاراً يكشح الزمن المهجّ ، لينشر شعاعاً جديداً في عهد موحّد جديد ، مديد ... والعربي الذي كان ، حتى البارحة ، القريبة ، يحيا في مخيلة مجده الغابر وغده المرتجى ، اصبح ، الساعة ، يلمس بالبصيرة ، حقيقته ، المتنبهة لمساً دقيقاً ويضمها ، اذا شاء بالساعدين ، ضماً . كان واحدنا ، اذا شدا ، حلم ، واغفى ، فغدونا واطياف الحلم والاغفاءة ، صوراً واضحة ، نيرة ، ترف ، على اساريرها ، في اللقاء ، انامل الضياء وجوانح الامل ...

منذ الف حول ، ونحن نتقلب على مضض أجش ، ونتململ في مهاب الشوق ، الى الرفعة ، والعظمة والانطلاق ، نتوقل في ليل لنقع في آخر ، ونتفلت من حيرة ، لنتعثر في اخرى .. كنا كلما تسور ، الى الجوزاء ، منا ، جناح ، خرج علينا من مراصد العتمة في ضمير المستعمر ، الف جناح وجناح . ثم وثبنا كما تثب ، الريح لجاءة من مخابىء القدر . اعظم بها وثبة تقوض وثنية المادة .

ايها العرب الضاربون في كل شمس ، النازلون في كل شفق ، وغسق ، ان الغد الذي نغني ، غد ارحب من الامس وأعمق ، فهذه القبضة الضخمة من الرمل ، والحجر ، والخصب ، التي زرع فيها اجدادنا نواة الحق ، وغمائم الزرقة ، هي خمرة البشر ، وواحات الجمال .

كنا على جفوة ، فاصبحنا على موعد ولقاء وثيق ، يساند قوينا ضعيفنا ونتكاتف تكاتف الاخوة ، بعد الغياب المرير الطويل .

ما اطيبه من لقاء تتعهده نجبات القلوب ، والافئدة ، حشود محتشدة ، من البشر المتسورين الى القمة ، وقديماً ، كانت القمة ، موطئاً لاقدامهم ، لا مرمى لعيونهم البعيدة ، التي بنت وحدها جدران الجنة .

قد انقطع نغم الانكماش والعزلة ، وتساقطت ظنون الرجعية ، وقالت النخلة بنت الصحراء للارزة بنت الجبل : ايه اختاه ، كلانا غصن واحد في اصل واحد ، ان الريح التي تجرح خدك تجرح ضلعي ، واليد التي تنثر الندى عن ورقك ، تخدش سعفي ، والمعول الذي يهوي على ساقك يهوي على قلبي ، ايه اختاه ان الجزيرة ، مني واحد عظيم في لفظ واحد عظيم .. وبعد «لم الميزاب» رأسه اشرق يقبل اضواء الرمال . وهذا الغد الاخضر المنتظر هو توثب الربيع ، ربيع الحق ، في ترابنا الخصاب القديم ... وهؤلاء الذين يغوصون على اللؤلؤ ، في بحار غير بحارنا ، وفي خلجان غير خلجاننا ، هم الذين ضلوا مسالك العبقرية ، فثارت حفائظهم على كل فكر حر ، وكل وثبة تقدمية ، صحيحة ، وتلهوا بالصدف ، انهم يكدحون في البغضاء ، ويدأبون في التملق ، ويعملون لاثارة العربي ضد العربي .

ايها العرب انها ليقظة عظيمة كلها كدّ ، وهضم ، وغناء ، وثمر ، وشذب ، والعبقرية المبدعة ، المجددة ، كد دائم ، وهضم مستمر ، وغناء لا ينقطع ، وشذب لايعرف اللين او الرحمة ، فلنسحق بعنف هذه التكتلات ، تكتلات الشعوبية والذوبان ، فهي مجرمة ، في تهزعها وتهزجها ، في غنائها ونثرها ، في خطبها واحاديثها ، في اقلامها الاجيرة ، واوتار حناجرها ، في نياط ضمائرها ، في هذا الماء الذي تشرب ، في هذا الجبين الذي تمسح عرقه ، باقدام المستعمر ... ان الكرم الذي لا يشذب بقساوة ، كرم لا تثمر عناقيده .

ويل للامة التي تحمل في ضلوعها جراثيم الموت ، وويل لها لانها تحمل حجارة قبرها في صدرها

فلنسحق هذه التكتلات الاثيمة ، الغارقة في همس الغريب ، ووحيه في صداقته الخبيثة ، في كل ما في خفايا باله من مأرب ، وغاية وتعلة ، بئست تعلاته . ان المعدة العربية اقوى معدة عرفها التاريخ فقد هضمت هضماً ، زندقة كسرى ، ووثنية قيصر ، وما هزلت ، وما اصدئت فلنهضم الرجعية الثقيلة ، هضمة الفناء ، ليقوم البناء العربي الجديد على اسس من الحق والاخوة جديدة تضم العرب بنعم الحرية في ظلّ قومية صحيحة لا تستقي حقيقتها من هذا القطب او ذاك ، من الجليد او من الضباب ، من الحقد او من البغضاء ، بل تتكون من ضمير تاريخنا وترابنا ، وفي ضمير تاريخنا وترابنا يركز القومي المؤمن حجر الزاوية المقدس .

الياس خليل زخريا

غـــدنا السياسي

بقلم امين محمد ابو عز الدين

المقام الاول في الاقطار العربية اليوم للسياسة وكل ما تنطوي عليه هذه اللفظة . فالسياسة وما يتصل بالسياسة من اتجاهات دولية ووضع خطط السلام للمستقبل الى غير ذلك من اخبار واشاعات وتفسير وتأويل – كل هذا صار حديث الناس في مجالسهم وفي سمرهم ، يشترك فيه الرجل والمرأة والشاب والفتاة والوطني والاجنبي من عموم الطبقات . واذا احتاج الامر الى دليل آخر فالمرء يجده في مختلف الصحف من عربية وافرنجية .

اليقظة السياسية : قد يعلل جانب من هذا الواقع بحالة الحرب الحاضرة وما هو مألوف من رغبة الناس في اكتناه المجهول وحب التكهن بما سيكون . ولكن من المحقق ان الجانب الاكبر من هذا الواقع يعود الى يقظة الشعب السياسية من حيث العناية بتقرير مصير بلاده بعد الحرب والرغبة في ان تجري الامور والاعمال في مجرى يكفل للدول العربية في الغد امرين جوهريين واساسيين : اولهما السلامة والآخر الكرامة .

اجل ان هذه اليقظة او التنبه السياسي مشهود الان من كل جانب وفي اي قطر عربي ، فلا يذاع بيان الا ويوضع موضع النظر والتدقيق ولا يتحرك عاهل عظيم او وزير خطير الا وتتبعه الابصار ولا يعقد اجتماع او يدعى الى مؤتمر عام الا وتتجه اليه الانظار وتظهر ميول الناس حيال اعماله ومقرراته . وقد بولغ في ذلك حتى اتسع المجال لخلق اشاعات يتناقلها الناس كأنها في حكم اليقين استناداً الى ما يطالعون في الصحف وما يتصل بهم من الذين يظن انهم على علم واطلاع ، ثم تتوارى هذه الاشاعات لظهور ما ينقضها فيخلفها سواها ، وهكذا . . .

غير ان هذا كله من الامور العارضة لان الاشاعات لا يمكن ان تغير من حقيقة الامر اذا خالفته ومع ان فعلها لا ينكر فهي ليست بالشيء الذي يهم الباحث المحقق . ولكن الذي يهم هو كيفية الانتفاع بهذه اليقظة السياسية في البلاد العربية كافة وامكان توجيهها توجيهاً وطنياً قوياً مثمراً .

الشرق العربي في الحرب الماضية والحاضرة : لقد كتب على الشرق في الحرب العالمية الاولى كما في الحرب العالمية الحاضرة ان يكون ميداناً من اهم الميادين الحربية والسياسية . وفي كلا الحربين كذلك كتب للسياسة الدولية ان تلعب دوراً خطيراً بشأن مستقبله

واليوم يعد فيه ايضاً عالم الغد . فما هي ياترى اتجاهات السياسة الدولية التي ستواجهها البلدان العربية في الغد ، ثم الخطط الرئيسية التي يصح ان يتبعها العرب كافة من جانبهم . هذا ما سنحاول بحثه فيما يلي بقدر ما تسمح الظروف وما يفسح المجال هنا من تفصيل .

اتجاه السياسة الدولية في الشرق الاوسط : ان سياسة الدول الاوربية في الشرق الاوسط كانت تقوم في القرنين الماضيين وحتى الى سنوات قريبة من القرن الحالي على قاعدة جر اقصى المنافع المادية والتوسل الى هذه الغاية بوسائل شتى وراء استار متعددة . وكان لهذا الشرق وسيلة واحدة لتخفيف وطأة هذه السياسة من الجانب الاوربي ، وهي تنافس الدول الكبرى ونهم بعض ساستها ، وكان السلطان عبد الحميد العثماني من ابرع الذين عرفوا كيف ينتفعون بهذا التنافس فكان يستخدمه لمصلحته ولصون اراضي ملكه ومع ذلك استطاعت دول اوربا ان تنتزع من حكمه اجزاء ليست بقليلة من بلاد السلطنة العثمانية وان تحرك في شعوبها بعض النزعات التي ما زلنا نقاسي من آثارها حتى اليوم ، وتدفعها الى الفتنة والانتقاض والمشاغبة تحقيقاً لرغباتها .

كان هذا كله في عصر التنافس والخلاف والتزاحم الدولي . فماذا يكون الشأن اليوم وفي المستقبل القريب والحرب في طورها النهائي والناس تتطلع الى العصر الجديد الذي تبشر به الدول الكبرى الحليفة وترفع فيه رايات الحق والسلام .

ان الدول العربية في مقدمة الذين يرحبون باتفاق دول الغرب على صون سلام العالم ورفاهية البشر ويسرهم ان يعاونوا في قضاء هذه المهام وبلوغ هذه المقاصد ولكن لا يسعهم وقد اكتووا بالنار من قبل ان ينظروا بغير عين الحذر الى ما يحتمل وقوعه في مناطقهم اذا عمّ الاتفاق دول الغرب وزال ما بينها من اسباب الخصومة . فقد دلنا تاريخها على ان قواها تتجه في هذه الحالة في وجهات اخرى لاستحالة تقييدها في مكانها ولشدة فعل الحاجة المادية في نفوس شعوب ألفت الرخاء والاثراء والتوسع على حساب غيرها .

الا ان في الشرق قوى واقية فضلاً عن قيام روح جديدة تدعو اهله الى التعاون والتضامن وتأليف جبهة متراصة يواجه بها احداث المستقبل وسوف يكون لهذا التعاون في الغد تأثير كبير في الحد

من مداخلة الدول في هذا الشرق. لا يخفى ان كل دولة من الدول العربية اضعف من ان تقاوم منفردة وان تصل الى حيـاة الحرية الكاملة. لهذا متى وفقت العرب الى تأليف جبهة امكنها ان تنال ما تصبو اليه من حرية واستقرار في كيانها فلا تعود عرضة للتعدي وسبباً لخلق المنازعات بين الدول الكبرى.

وربما فقرات للدكتور يوسف هيكل بهـذا الصدد يزيد في ايضاح ما تقدم قال: «لقد برهنت هذه الحرب على ان الدول الصغيرة عامل خطر على سلام العـالم ومنشأ للاضطرابات الدولية والحروب العالمية، اذ هي هدف لاطماع الاقوياء. ومنشأ للنزاع فيما بينهم بسبب عجزها عن المحافظة على حيادها وعن ارغام الغير على احترام حدودهـا والامثلة الواقعية على ذلك عديدة في التاريخ وقد قرأنا اخبارها وشاهدنا حوادثهـا في هذه الحرب والحرب الماضية».

«ولازالة هذه الاخطار ترى السياسة الدولية ان السلام المقبل يقضي بايجاد تعاون او تحالف بين الامم الصغيرة المتجاورة وتكوين جبهة منها منيعة الجانب لا يجرأ الطامع فيها على التعدي عليهـا. ولهذه الغاية يرمي ساسة البلاد الديمقراطية الى ايجاد اتحاد او تعاون بين دول اوربا الشرقية وتحالف بين دول البلقان.» اه.

وللغاية نفسها ايضاً تنظر انكلترا بعين العطف الى المساعي القائمة اليوم من اجل تحقيق تعاون العرب وايجاد تحالف فيما بينهم يضع حداً للنزاع الذي كان يقع في الماضي بين الدول الكبرى فضلاً عما في ذلك من ضمان للسلم والامن في هذا القسم من العـالم الذي هو بمثـابة جسر طبيعي تمر عليه طرق المواصلات بين الشرق والغرب.

سبيل العرب الى تأمين السلام العالمي في اقطارهم والمحافظة على كيانهم:

ذكرنا في مقدمة هذا المقـال ان اولى رغبات العرب هي ان تجري الامور في مجرى يكفل للدول العربية في الغد امرين جوهريين واساسيين: اولهما السلامة والآخر الكرامة. وعليه بات من الضروري ان تتفق الدول العربية على سياسة عليا في شؤونهـا الخارجية من شأنها ان تحقق هذين الامرين الاساسيين.

وقد يكون الركن الاول لهذه السياسة الخارجية ان تعامل جميع الدول الغربية على السواء لا فرق بينهم لكن قد يسبق الى نيل ثقة الدول العربية من كان اصدقهم لاستقلالها واكثرهم مراعاة لحقوقها ومصالحها. ثم انه ليس من المصلحة الوطنية لاي قطر من الاقطار العربية ان يمنح مركزاً ممتازاً لدولة اجنبية لان ذلك يهدد استقلاله ويكون سبباً لاضطراب الامن الداخلي فيه من جراء ما قد تسلكه تلك الدولة من سياسة التحيز والتفرقة بين الطوائف التي عرف عنها العالم العربي الشيء الكثير وكانت في مقدمة الاسباب التي ادت الى تفككه وتباعد شعوبه. ومن جهة اخرى يخشى ايضاً انه فيما لو حصلت احدى الدول الاجنبية على مركز ممتاز في بعض الاقطار العربية ان يحصل غيرها على مركز مماثل في قطر آخر منها. ولو فرض ان هاتين الدولتين كانتا حليفتين وصديقتين فقد يحدث في المستقبل ما يعكر صفو علاقتهما فيؤدي ذلك الى النزاع والخصام وتصبح الاقطار العربية بين السندان والمطرقة او ساحة حرب وقتال.

على انه اذا كان علينا ان نعامل جميع الدول الغربية على قدم المساواة فلا يمنع ذلك من سعينـا الى صداقتهم وخطب ودهم لاننا نحتاج الى مساعدتهم الفنية والاستعانة باصحاب الاختصاص بينهم.

اما الركن الثاني فهو مواجهة الدعوة التي قد توجه غداً للعرب للاشتراك في الهيئة الدولية التي ستتولى شؤون السلام العالمي وهذا في مقـدمة الاسباب التي تدعونا الى الاستعداد. فان نفوذ العرب في أي هيئة او مؤتمر دولي سيكون على قدر مـا لديهم من قوة مسلحة. وفي رأي فريق كبير من ساسة الدول العظمى ان الهيئة التي تتولى المحافظة على سلام العالم في الغد ستكون اكثر توفيقاً اذا سندتها القوة. والواقع اليوم ان قواد الحرب في الولايات المتحدة مكبون على وضع خطط الدفاع عن اميركا بعد الحرب ليكفلوا بذلك الخلاص من الحرب. فاذا كانت القوة خير وسيلة للظفر بسلام حقيقي دائم فهي كذلك اضمن وسيلة لحفظ حرية العرب واستقلالهم. ولا يخفى ان العامل الاول في تسيير حركة التعاون بين الاقطار العربية كان منذ البدء شعور هذه الاقطار بالحاجة الى جميع قواها لوقايتها وصون سلامتهـا ودرء الخطر عنها في حالتي السلم والحرب بعد ان عانت ما عانته من عواقب الحربين الحاضرة والماضية وهذا ما يجعل الداعين الى التعاون العربي على يقين بنجاح حركتهم لان الدفاع عن النفس وحب البقاء من اعمق ما غرس في النفوس وهما من الغرائز الطبيعية في المخلوقات.

ولست اقصد بكلامي هـذا ان يندفع العرب الى التسلح لكنهم سيحتاجون ولا شك الى قوة حربية في وقت السلم تتناسب الى حد ما وقوى سائر الدول على ان تكون اسلحتها ومعداتها على

احدث طراز . وركن ثالث من اركان السياسة الخارجية هو مراقبة تطور النفوذ الدولي في الغد ومن تكون له الهيمنة على تسيير سياسة الدول . يروى عن نابوليون الاول انه قال يوماً في منفاه في جزيرة سانت هيلانه ان اوربا بعد مضي مئة عام من عصره ستكون تابعة اما لروما او القوزاق ولعله كان يعني ان اوربا ستصبح في ايامنا هذه تحت نفوذ الفاتيكان او روسيا . ولا عجب اذا صحت هذه النبوءة بشأن روسيا لاننا مقبلون على ما يسمونه بالعصر الروسي الاميركي نظراً لما هو متوقع بعد انتهاء هذه الحرب من سيطرة النفوذ الروسي على اوربا والقسم الاكبر من آسيا وامتداد النفوذ الاميركي في القسم الغربي من الكرة الارضية حتى المحيط الهادي . وهذا لا يعني اقصاء انكلترا بل بالعكس سيبقى لها من النفوذ في سائر بقاع المعمور وقد تلعب دوراً خطيراً بين هذين القطبين العظيمين اما الذي يهمنا من هذا الامر فهو تلاقي نفوذ هذه الدول الثلاث في بقاع الشرق الاوسط فلا نريد ان نفيق في الغد ونرى اصحاب هذا النفوذ قد اتفقوا فيما بينهم وقرروا مصيرنا من غير ان نشعر وفاقاً لمصالحهم .

بقي ركن رابع يقضي بالعمل على تنسيق اهداف الاقطار العربية بحيث تكون منسجمة حتى اذا ما عقدت الهدنة ودعي ممثلو الدول العربية الى الجلوس على مائدة الصلح استطاعوا ان يقدموا معاً مطالبهم متحدة متضامنة لانهم قد اتفقوا فيما بينهم من قبل على الحلول التي اختاروها .

جامعة الدول العربية : ان بروتوكول الاسكندرية لجامعة الدول العربية يستهدف انشاء رابطة بين هذه الدول ليعملوا عملًا موحد الغاية منظم الخطوط متقارباً في طرائق تنفيذه ويخطيء الكثيرون عند زعمهم ان هذه الجامعة ما هي إلا دولة فوق الدول ، بل الواقع انها مؤتمر عربي . وهي ليست في ذاتها غاية بل وسيلة من وسائل نهوض الدول العربية وطريقة تعاونية من طرائق ازالة الصعاب التي تعترض هذا النهوض . وقد لا يكتب النجاح التام لهذه الجامعة اذا لم تكن الاقطار العربية كافة تؤمن بها وتثق بغاياتها لان روح التعاون في هذه الجامعة هو ذلك الروح الذي يحاول ان يفهم كل جار جاره ويضع مصالح الغير في كفة ومصالحه هو في كفة بغير تحيز .

ان الدول التي تشترك في ارض واحدة ولغة واحدة وفنون متماثلة وترمي الى مطمح واحد ويكون بينها مصالح متبادلة لدعم اقتصادها الوطني وكيانها الدولي تتألف منها جبهة متضامنة راسخة مهما عبثت بها السياسات وتقلبت عليها الظروف .

وفي هذا العالم العربي الذي اصبح صغيراً جداً بسبب اقتراب المسافات الشاسعة واختلاط الآراء والمصالح بين سكانه بات من الواضح ان الاستقلال والسيادة لا يكون لهما منذ اليوم ادنى صلة مع ما نسميه بالعزلة . فالتعاون بين الامم في الشرق كما في الغرب سيزداد عن الماضي ويتضاعف في مختلف الميادين وسيكون للسيادة مبادئ جديدة في المستقبل اقرب الى التعاون والتضافر منها الى العزلة والانفراد .

من الواضح ان لا تنافي بين استقلال لبنان الذي يحافظ عليه ابناؤه ويحترمه سائر العرب وبين جامعة الدول العربية التي كيف ذهب اللبناني يجدها امامه والتي لو نزلت به نازلة لا يجد من يحنو عليه حق الحنو ويشاركه مصائبه مشاركة الاخ لاخيه سوى الدول العربية . فالخطر على لبنان واستقلاله — كما قال رئيس الوزارة اللبنانية في احد خطبه الاخيرة — « لن يأتي من جهة العرب بل بالعكس هم يحافظون عليه ويهبون للدفاع عنه . اما الخطر فانما يأتي من جهة ثانية فلنتفق اذاً للمحافظة على الاستقلال » .

ومما لا جدال فيه ان للبنان وضعاً خاصاً لكن لبنان ميدان ضيق لاهله الذين يخترقون بهمتهم آفاق الارض ويضربون بآمالهم اجواز السماء . وهنالك شعوب شقيقة قريبة تخفق قلوبها مع قلب لبنان وتغضب لغضبه وقد برهنت الحوادث القريبة والازمات التي حلت في لبنان خلال السنة الماضية صحة ذلك . فمن ذا الذي يهبه الله امة عددها ينيف عن الثمانين مليون فيزهد في هذه القوة ويقول لهذه الملايين من الاخوان المحبين اني بريء منكم بعيد عنكم .

لقد وهب الله اللبنانيين مواهب ممتازة وخصهم باوفر قسط من الذكاء والنشاط كما تيسر لهم من اسباب التقدم والاتصال بالحضارة الغربية ما جعلهم في طليعة الدول العربية والوسيط بينهم وبين الغرب يحملون امامهم مشعل الرقي والحضارة وهذا أفضل للبنان من ان يبتعد عنهم ليلحق بغيره ويقلد سواه مضحياً بشخصيته ورسالته معرضاً مصيره ومصير الغير من جيرانه .

ان بعض الدول الاوربية التي هالها في الماضي القريب اتجاه الامة العربية نحو التضامن والتحالف سعت ببراعة مدهشة لتقوية الشعوبية بين ابناء العربية . وما الوطن القومي بفلسطين واحياء عنوان الاشوريين بالعراق والفرعونية بمصر والعرق البربري في شمالي افريقيا وما نراه من المناداة بالفينيقية في لبنان الا حلقات من سلسلة برنامج رسم لنا ونحن نضع اعناقنا في هذه السلسلة لنختنق بها زاعمين انها حلية نتجمل بها .

امين ابو عز الدين

حياة فنان

بقلم مصطفى فروخ

ليست مصائب الحرب فيما تنزله من تقتيل وتدمير وازهاق ارواح بريئة فحسب ، بل هنالك ايضاً وراء خطوط القتال ، في الجبهة الثانية ما تحدثه من اضرار معنوية تصيب كبد الاخلاق وتفتك في الفكر وتطعن المثل العليا في الصميم .

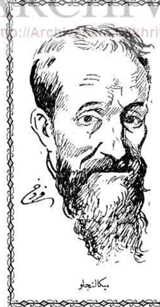
كثيراً ما يصاب العالم اثناء الحروب بنوع من الوباء الخلقي أو الوافدة المادية فتصرعهم وهم لا يشعرون ، فلا يحس احدهم الا وهو مصاب بهذا الداء الوبيل ينخر في نفسه ويفترس روحه ويأتي على خلقه فاذا هو جسم بلا روح واذا هو صنم من تلك الاصنام الصماء البشعة الوجه الفارغة الرأس والتي لا تبدي ولا تعيد وتضر ولا تنفع . يحتم الواجب الاجتماعي علينا في إبان هذا الوباء النازل بنا لا سيما ونحن نجتاز عهداً دقيقاً من تطورنا السياسي ان لا ننسى رسالتنا الثقافية التي هي الدليل العاقل في التوجيه الصالح .

لقد عودتنا هذه الحروب ان ننهمك في تتبع سير المعارك الدائرة ونستمع يومياً ، وبغير مبالاة ، لانباء الالوف من خيرة الشباب تقتل كل ساعة، وكبريات العواصم التاريخية تدك وتزول ، ثم يعود واحدنا مردداً فظائع الغلاء والاحتكار ، فتجف انسانيته وتنمو وحشيته ويسطو عليه جو عنيف من الهول والقسوة فاذا هو اشبه بالشيطان منه بالانسان .

ومن الخير للعاقل في مثل هذه الحال ان يتوقف عن الاسترسال في هذا السبيل وان يزحزح عن نفسه المتعبة شيئاً من ثقل هذا الجو الوحشي البغيض بان يطل على عالم انساني عاقل يستعيد فيه انسانيته وينسى فظاعة الحروب وفظاعة تجارها ومستثمريها .

وأي شيء بامكانه ان ينسينا ذلك وينقلنا الى جو هادىء مطمئن غير الادب والفن ؟ الفن والادب آخر ما بقي لنا على وجه هذه الارض المشتعلة بشهوات الدنيا ... اذاً لنترك ولو هنيهة حديث المجازر البشرية ولنتحدث عن حياة فنان كبير كان يتألم من ظلم الانسان لاخيه الانسان .

عندما كان يتفتح انبعاث الفن وينتشر اريجه في سماء فلورنسا والبندقية في القرن الرابع عشر ويتمخض عن البعث الفني الذي انار الدنيا وهيأ للعالم هذه الحضارة . كانت روما لا تزال غارقة في نومها تفتك بها الاهواء والمطامع وتتنازعها الاحقاد العائلية والحزبية السياسية الضيقة، وتشغلها المآدب والكبرياء الاريستقراطية الفارغة وتمن فيها اعمال الدس والوقيعة لجمع ثروة واكتساب زعامة رخيصة .



ميكالنجلو

هكذا كانت الحالة في مدينة روما حين آذنت ساعة البعث فظهر في سماء الفن ميكالنجلو بوناروتي ، نابغة الاجيال ، فارسل على عصره شعاعاً فياضاً من انوار الفكر والجرأة والايمان .

وميكالنجلو وليد فلورنسا تلك الارض الخصبة التي انبتت كثيرين من العباقرة . كان ميكالنجلو فناناً عالمياً لان نبوغه كان من القوة بحيث اجتاز ايطاليا الى ما وراء جبال الالب وعم اوروبا وغيرها . اطل على العالم سنة ١٤٧٠ وكانت بلاده متفككة الاجزاء مبعثرة الاهداف مشلولة القوى يعمل فيها الفساد وتأكلها الحزازات

الشخصية وتسيطر عليها الانانية الفردية . أطل هذا النابغة على هذا المجتمع الموبوء المليء بالاحقاد والجهل فراعه ذلك وهو الفنـان الحق الذي يعبد الجمال والانسجام في الطبيعة فكيف يرضى عكسه في وطنه الذي احب ؟ أيعكف على ممارسة الفن لينتج هياكل واصناماً لا تمت الى عصره بجال مكتفياً بكسب المال والشهرة الكاذبة ، أم يرضي ضميره الذي يطالبه بالمساهمة مع العاملين لبناء مجتمع صحيح تقوم عليه نهضة بلاده ؟

كان يعاصره وقتئذ رفائيل ذو المواهب الفنية الكبيرة ولكن رفائيل يختلف هدفـاً وعقلية عن زميله . ان ميكالنجلو لم يخلق فناناً فحسب بل خلق مصلحاً ومعلماً وحامل رسالة اجتماعية لذلك كان فنه عظيماً جارفاً ضاقت به بلاده فملأ بقوته الدنيا وفرضه على الاجيال .

كان رفائيل شاباً جميلاً وانيقاً في لباسه ، يحسن تضفيف شعره عذب الحديث وكان احياناً سياسياً لبقـاً يرضي محدثيه بعباراته المنمقة وابتساماته المصطنعة . وكان احيانـاً كثيرة لا يحجم ان يضحي بشيء من فنه في سبيل ارضاء اسياده . فنال بذلك الثناء العظيم والرضاء التام ، فنعم بالعيشة الهنيئة والجاه العريض . وبالطبع فان انهماكه بذلك لم يترك له الفرصة للتفكير بحـالة بلاده المتألمة والسعي للنهوض بها من كبوتها فهو بعيد عنهـا هو يعيش في القصور غارقـاً في نشوة الحب ولذائذ الحياة .

ولكن نحن يهمنا الآن ان نتحدث عن ميكالنجلو الذي يحس مع امته وابنـاء جيله . يهمنا منه انه انساني وانه صريح جريء جبار لا يعرف السياسة والمرونة، لان بلادنا قد اتخمت بالسياسيين المرنين لذلك نحن نحب ميكالنجلو الصريح ، ميكالنجلو الانسان وامثاله ، ونحب التحدث عنهم .

خلق فناننا الكبير مثّالاً وقد كشفت له التماثيل الاغريقية سر الجمال الحق وسلمته المطرقة والازميل كي يتحف المجتمع بفنون رائعة من هندسة ونحت وتصوير هي نور من تلك الانوار اللألاءة التي تضيء جبين العالم .

ولكن البابا جول الثاني بعد ان كاف ميكالنجلو نحت تماثيل لقبر البابا نفسه رجع لامر ما وكلفه زخرفة معبد (سكستين) وقد نزل على ارادة قداسته واقام (صقالة) وراح يفسح لخياله المجال العظيم الذي تخيله خياله الجبار مدة اربع سنوات وقد قاسى في سبيل ذلك مشقة عظيمة . فكان كالسجين عرضة لبرد الشتاء وحر الصيف وكان يشتغل ليلاً واضعاً شمعة في أعلى قبعته ، وحينما انتهى من العمل غـادر المعبد وقد احدودب ظهره وضعف بصره وصار تدشين الكنيسة بحضور البابا في خريف سنة ١٥١٢ باحتفال مهيب .

ان ابلغ ما في هذه البيعة صورة (خلق الانسان) و (الرسل) وتدلنا جميع الرسوم على مقدرة فنية خارقة نلمسها في انسجام الجمال التكويني والقوة الجبارة وهما الناحيتان اللتان بز فيهما ميكالنجلو كافة اقرانه .

ان صورة (خلق الانسان) تعد في طليعة الصور الموجودة هناك لما فيها من بساطة وجلال . ان فناننـا قد مثل فيها القوة المبدعة تنزل من السماء لتقرب من الارض حيث الانسان لا يزال ملقى على العشب وقد بدا آدم بين الحياة والعدم وهو يمد بضعف احد اصابعه نحو الخـالق ومن هذا التماس تنبعث الحياة وتسري فيه شرارة الذكاء .

خلق الانسان (لميكالنجلو)

وقد اجمع اهل الفن ان الصورة التي تمثل آدم هي من اروع ما عرف الفن وجمال التركيب ان جسد آدم المتراخي الذي لم تتم فيه الحياة يحـاول النهوض وقد بدا بشكل منحن غاية في اللطف والروعة لما في تركيب الجسم من التباين في الخطوط واختلاف في الاوضاع ، وقد جعل في تقاطيع الجسم الكثير من القوة .

ان المدرسة الاغريقية القديمة جعلت الجسم الانساني موضوعاً جوهرياً في الفن لانهـا وجدت فيه الكمال والتناسب والانسجام الذي لا يحد . فهو خلق في احسن تقويم لذلك عشق القدماء هذا

الشكل التام البديع ووجدوا فيه الينبوع الدفاق لهذا نراهم عند محاولتهم خلقاً فنياً القوا بالثياب جانباً ليظهروا ما انطوى عليه هذا الجسم من جمال في تقاسيمه وانسجام بين مختلف اوضاعه .

وميكالنجلو كان مثلهم عاشقاً لهذا الكمال في خلق الله لذلك قصر فنه على التعرف الى اسراره المدهشة ، وان في الانسان من الاسرار ما يحار فيه الفكر ولذلك يقول سبحانه وتعالى : « وفي انفسكم أفلا تبصرون ؟ » .

ان في صورة آدم من الفن التشريحي ما يعد مثلاً يحتذى به . انهذه الصورة وامثالها فيهذا المعبد ليست خارقة في جمال تكوينها الفني والمعرفة في التشريح فحسب بل في الحياة المتجلية فيها . ان جميعها تتحرك وتجري الحياة في اعضائها فهي تتنفس وتتلوى وتميل وترتعش . ان تقاسيم الصدر تبدو كأنهـا منتفخة وترى البطن ينخفض والمفاصل تلعب وتدور .

ومن مميزات فن ميكالنجلو ، الحركة والقوة والاندفاع والجلال .

ان ميكالنجلو يسير والقديم جنباً الى جنب انما يبزه بالفخامة والقوة والثورة . وهو كاكثر زملائه قد تألم كثيراً وثار على المجتمع الظالم ، وكم بكت روحه الكبيرة صغارة النفوس وكثيراً ما كان اليأس يحز في نفسه الوثابة التي كانت تنوء تحت مظالم الحياة ورياها . وحينما كان يصور انساناً انما كان يمثل فيه نفسه ورغبـاته التي هي الثورة والألم والاضطهاد . فعندما صور (خلق آدم) جعله كأنما يفتح عينيه لاول مرة على عالم يخفي طيه كثيراً من كآبة وكثيراً من وحشة . وتمثال (الفجر) هو كصورة آدم يبدو متراخياً كسولاً لمجيئه الى هذا العالم، فكأنه يستشف من خلاله الشقاء والبؤس ويظهر في آن واحد كأنه آسف ان يظل في طيات العدم .

الفجر (لميكالنجلو)

ان ميكالنجلو قد حلق الى الذروة في قوة الخيال والنضج يوم كان يعمل في هذه الصورة ، فقدصور لنا هذا المشهد : في اللحظة التي يتقبل آدم من ربه اعباء الحياة، تلك الامانة الهائلة التي عرضها على السموات والارض فأبين ان يحملنها وحملهـا الانسان . نراه يبدو في نظراته الكثير من العتاب الصامت . ان هذا الموقف هو في اعتقاد نابغتنا بمثابة الفصل الاول من سلسلة عراك الانسان القاسية وولوجه ميدان الألم والتفجع والقهر .

وقد اضفى ميكالنجلو على آدم روحاً سامية لانه يرمز عن (الخالق) ذلك الشيء الخارق الذي هو فوق تصورنا عندما بذر الله سبحانه في الكون بذور الحياة ونفخ في الانسان من روحه سر الالوهية العجيب وبدت في الاجواء اطيـاف العبقريات التي تمثل قدرته .

اما تمثال موسى فهو آية من آيات هذا العبقري ، وتحفة رائعة ليست مفخرة له فحسب بل هي مفخرة للنبوغ الانساني اجمع .

وميكالنجلو نفسه احس بذلك حينما نظر الى تمثاله الكامل، فلم يستطع رد جماح نفسه امام هذا الخلق الجبار فهتف من اعماقه بكلمة ذهبت مثلاً بعد ان ضرب تمثاله بالمطرقة التي ترتجف بها يده ثم قال مخاطبـاً التمثال : « تكلم يا موسى ! »

ألم يفعل شاعرنا المتنبي من قبله يوم هتف قائلاً :

ودع كل صوت بعد صوتي فانني
انا الطائر المحكي والآخر الصدى

انني لا ارى حرجاً في قوليهما لان حياة الفنان صارمة قاسية وهو بحاجة مستمرة الى الايمان بنفسه وان يحبه الناس ، لانها مادة لازمة لتذكي لهبة الفن في فؤاده . على ان الحيـاة لا تفتأ تناقض مشتهياته وتعارض امانيه ، والحيـاة لاذعة مرة وساخرة لذلك فهو بحاجة للشعور بتلك اللذة الروحية السامية التي يتوق اليها وهي ثمن مايلقاه في حياته من ألم وعسف واضطهاد .

وفي تمثال موسى سكب ميكالنجلو المتألم ما تبقى في نفسه من نبل وثورة . ونرى ذلك بادياً في تماثيل آل مادسيس في فلورنسا فهي تعبر ببلاغة فائقة عما كان ينتابه من ألم لما كانت عليه امته من تفرقة وانحطـاط ، فكانت تتأكل نفسه ثورة عاصفة لان يرى التقهقر والتعصب والذل تفتك بامته وتعمل على تقويضها .

التتمة على الصفحة ٦٣



ينبوع الحياة

للفن ينابيع عديدة. فالالم ينبوع . والحب ينبوع . والبطولة ينبوع . والحنين ينبوع ...

لكن الحياة تفجرها جميعاً . فهي الينبوع الاكبر، من ورده ارتوى واروى، ومن لم يشرب منه فهو ابداً عطشان .

وآفة الكثيرين من ابناء الفن، ولا سيما الادباء، انهم يحيون الحياة، ولكنهم لا يشربون من الينبوع .

انهم يؤثرون عليه الكأس الواقفة على مائدة الطعام، والابريق المتربع على الارض، والجرة الجالسة على الشرفة تنـادي الرائحين والغـادين، والعين القريبة من البيت تتزاحم عليها المناكب، وتزدحم عندها الاقدام . وهم لو دروا لعرفوا ان ينبوع الحيـاة اقرب اليهم من الكأس والابريق والجرة والعين، وان ماءه لا يحبسه الزجاج، ولا يخفيه الفخار، ولا تلوثه اقدام العابرين .

لكنهم لا يدرون . امـا الذين يدرون منهم فهم العباقرة، المبدعون، اولئك الذين تضمهم الاجيـال في صفوف الخالدين . وما خلدوا الا لانهم عبوا من الينبوع .

*

قرأت لـ« غوته » على لسان فوست : « لكي تؤثر في قلوب الناس، عليك ببلاغة تخرج من القلب » . وقرأت له، بعد بضعة سطور : « اذا لم يتفجر الماء من قلبك، فانك لن ترتوي ابداً » . وغوته هو احد الذين وردوا الينبوع .

فما لنا نحن، او ما للسواد الاعظم منـا، اذا امسكنا القلم لنكتب، نسينا اننا نحيا بين زوجة واولاد وخدم، وآباء وامهات واقارب واصدقاء واعداء، لكل منهم حيـاته، واهواؤه، وعاداته، وان لنـا حيالهم مواقف وعواطف واحاسيس، من اطمئنان او حذر، او حب او بغض، او شغف او كراهية، وان حياتنا تتأثر بحياتهم الى حد بعيد، وان كل ساعة من ساعات ايامنا ولياليها قطعة من حياة فيها للفن مادة وأي مادة ! وان يوماً واحداً من حياة الانسان ينقله الكاتب الى دنيا الفن على رأس هذه الآلة الدقيقة العجيبة التي بنت الحضارات، واقـامت المدنيات، وهي القلم، يؤلف صفحـات رائعة، نابضة بالقوة، زاخرة بالجمـال، فكيف باعمار تمرّ، وسنين تنقضي، واجيال تتعاقب، نهملها، ولا نلتفت اليها، لاننا، حين نكتب، نحيـا حياة الالفاظ والكتب والمعـاجم، ولا نزيد، او لا نعرف، ان نحيا الحياة نفسها ونعكس صورتها في نثرنا او شعرنا .

*

لي ولد لا تبسم الحياة لي الا اذا ابتسمت في ثغره، ولا يغمرني فيض السعادة واللذة الا اذا مرغت شفتي في غدائر رأسه الاشقر المعبود، وانا والد وانسان لا اشعر حيال « محمود » الا بما يشعر به الملايين من الآباء حيال الملايين من الابناء . ومع ذلك فقد خلا ادبنا من عاطفة الابوة هذه كما خلا من عاطفة الامومة خلواً مثيراً، عجيباً، في حين زخرت بها حياتنا، بل الحياة .

يخيل اليّ اننا نخـاف ان نتحدث عن انفسنا حين نكتب للنـاس، وان هذا الخوف تشوبه عاطفة اخرى هي الحيـاء من ان نكشف للناس عن دخيلة حياتنا .

من الينبوع

ولكن أليس الاديب الحق هو الذي يتحدث عن نفسه، ولو اوهمك انه يعنى بناس لا شأن له بهم ؟ أليس الفن هو طبع الاشياء والاحياء، والمرئيات، بطابع الفنـان الشخصي ؟ والا كانت الصورة الفوتوغرافية التي تخرجها آلة التصوير، اعظم من اللوحة التي تبدعها ريشة المصور والوانه واصباغه .

*

اقول لحملة الاقلام في كل بلد عربي : لا تخشوا ان تتحدثوا عن حياتكم، ولا تستحوا، فان ابقى مداد تغمسون به اقلامكم هو ينبوع الحياة التي تحيونها كل يوم .

وأهمس فيما بيني وبينهم : اذا جلستم للكتـابة فلتكن آفاقكم داخلية، وبـدلاً من ان تنظروا في الكتب والمعاجم والدواوين، حدقوا الى نفوسكم، والقوا بنظراتكم على مـا حولكم تروا اعجب القصص وامتع المشاهـد، واروع المواضيع !

خليل تقي الدين

التداوى بالامراض

بقلم
الدكتور نقولا فياض
عضو المجمع العلمي العربي
بدمشق

هذا عنوان غريب في ظاهره ولكنه حقيقة ملموسة افضى اليها الطب في حالات تطوره المختلفة على ان الاقدمين لم يجهلوه تمام الجهل.

لباسكال عبارة مأثورة قالهـا بعد انصرافه الى الدين على اثر حادث طرأ عليه وهو سائر على جسر نيلي فانقلبت المركبة وكادت تودي به «علمني يا الهي ان امراض الجسد قصاص وصورة لامراض النفس ولكن اجعلها دواء لها ايضاً» ولكن ليس هذا ما نعنيه في هذا الموضوع فانما كان يصبو اليه باسكال في تقواه هو ان تنفجر ينابيع الصحة من صخرة العـذاب والالم على حـد سوقراط عندما فكوا سلاسل قيوده فأحس بحلاوة الحكة التي تركها في رجليه ثقل الحديد وضغطه المستمر فكان ابتهاجه عظيماً بما رأى من الارتباط الوثيق بين اللذة والالم.

منذ القدم عرف الناس بالاختبـار ان من الامراض ما يجب احترامه وعدم التعرض لازالته خوفاً من الوقوع فيما هو اشد وانكى. وقد ظهر في القرن الثامن عشر كتاب ضخم للاستاذ ريموند يعدد فيه الامراض التي يكون من وراء شفائها خطر على الصحة، وكثير من الامهات حتى اليوم يتهيبن محاربة الاكزيما في الاطفال ولا سيما ما يقال له «الربة». كما ان من الامراض مـا هو خير وبركة لتأثيره في سير امراض اخرى. هكذا كانوا يستقبلون بالشكر الحمرة او النار الفارسية لما كان لهامن القوة في شفاء القروح المستعصية. او ذات الرئة للتخلص بواسطتها من الديابيت او الداء السكري. وكان الطبيب تروسو المشهور يزعم ان ارتفاع حرارة الجسم او الحمى ايا كان سببها فيه فائدة للسعال الديكي وربما عمل على شفائه. وكان شاركو يقول: ليست الامراض التي يمكن التداوي بها كثيرة العدد ولكن فعلها اكيد. ولم يكن هذا الاعتقاد يقف بالطبيب عند حد احترام بعض الامراض والامتنـاع عن معالجتها معالجة كاملة بل يحمله احياناً على احداثها في الجسم توسلاً للخلاص من داء قديم مقيم. وعلى هذا الوجه انتشرت مادة الكي وحبة الحمص والخلال والقص وما شاكل للوصول الى تقيح غزير يسحب معه الى الخارج اخلاط الجسم الفاسدة ومنذ القرن السابع عشر كانت النساء في تساليا وغيرها يأخذن الصديد من الاطفـال المصابين بالجدري الخفيف ويلقحن به الاصحاء لتوليد المناعة فيهم ضد الداء المخيف على حد قول الشاعر العربي وداوني بالتي كانت هي الداء. ولكن هذه الطريقة التي اهتدى اليها قوم سذج لم تقنع ابناء المدينة وعلى الرغم من تحمس فولتير واعجاب الدوق دوليان الذي اقتح بها ولديه لقيت معارضة شديدة من العلماء والعامة ولم ينته الخصام الا بعد ما اكتشف جنر طريقته باخذه مادة البثور التي كانت تصاب بها العجاجيل وجعلها لقاحاً للانسان.

وما اتينا على هذه اللمحة التاريخية حباً بنفض الغبار عن الكتب العتيقة بل لنصل الى الحلقة التي ترتبط بهـا سلسلة التجارب التي انصرف اليها علماء العصر الحاضر.

كل حوادث التلقيح الناتجة عن اختبارات باستور في الكلب والتيفوئيد وغيرهما ليست الا صورة للتداوي بالامراض اي ان يعطى الجسم داء خفيفاً للوقاية من داء شديد ولكن هذا التداوي الذي يكون في اكثر الاحايين لتدارك المرض قبل وقوعه اي للوقاية لا للشفاء لا يزال ضيق الآفاق والتغير الذي يحدث في سوائل الجسم من جرائه بطيء لا يتفق مع الحالات الحـادة التي تتطلب حلاً سريعاً.

ان الطبيعة عندما تتكفل هي نفسها بالشفاء كما في ذات الرئة مثلا فانها تعمد الى المفاجأة وتعمل بضجيج فترى المريض وهو في اشد حالات الهذيان والحمى يتبدل فجـأة فيسبح في العرق وتهبط حرارته دفعة واحدة ويبول بغزارة وهذا ما يسمونه البحران اي

« الكريزا » التي عرفها الاقدمون والتي تكون احياناً بالغة اقصى الشدة حتى تتجاوز حدود قوى المريض وطاقته . فهذا المثل الذي تقدمه لنا الطبيعة ألا يمكن تحقيقه صناعياً؟

هذا ما تساءله شوفار منذ مئة سنة تقريباً عندما رأى عجز الطبيب ازاء الامراض العصبية ولا سيما فيما يختص بداء الكلب فتخيل في تصوره البعيد معالجة تقوم على احداث رد فعل شديد في الجسم اي ان تغتصب الطبيعة اغتصاباً باعطاء الحمى لكل من كان في خطر من الكلب وان يصار الى ذلك بشدة فظيعة تتأثر بهـا اعماق الحياة الخلوية . وقد حقق الجيل الحاضر حلم شوفار فظهرت طريقة جديدة في المعالجة هي الصدمة التي تبعثهـا في الجسم بعض الامراض او بعض العقاقير كنوبة الحمى الملارية او حقن الوريد ببعض السوائل كالبيتون او املاح الكولوييد .

وعندما اخذ باستعمال الكولوييد جعلوا لكل مرض معدناً خاصاً فكان الذهب والفضة للنزلة الوافدة واختلاطاتهـا الرئوية والقصدير للدمامل والبثور والنحـاس للسرطان فاذا حقن المريض باحدى هذه المواد لا يمر عليه ثلاثة ارباع الساعة الا يشعر بحـالة غريبة من التشويش وضيق الصدر وتستولي عليه القشعريرة فينتفض انتفاضاً يهتز له السرير وتعلو حرارته الى الاربعين وما فوق وبعد ساعة او ساعتين من الحمى يتصبب منه عرق غزير وتأخذ الحرارة بالهبوط وقد خرج المريض منها منهوك القوى ولكن بارئاً في بعض الاحيان .

ولا ريب ان هذه الصدمة كانت تزعج الطبيب كما تزعج المريض وقد حسبها الطبيب اول الامر اختلاطاً يمكن اجتنابه ولم يخطر له ان الفضل لها في تأثير الدواء ، كما كان يتصور شوفار الا بعد ان تعددت الشواهد وكثر المرضى الذين عادوا الى الحيـاة بواسطتها .

وانتشر استعمال هذه الطريقة اواخر الحرب الكبرى الماضية عندما غزت الحمى الاسبانيولية العالم واخذت تفتك فتكها الذريع في الكبار والصغار فكان الاطباء يلجأون اليها مرغمين لان الصدمة التي كانوا ينشدونها كانت تخيفهم لشدتها ولم يكن في وسعهم ان يقيدوها او يرسموا لها حدوداً . وكم من الحوادث التي باؤوا فيها بالفشل فكان عذاب المريض بلا جدوى . على ان الذي كان يبرر استعمالها هو قوة الوباء وخطورته وكثرة الوفاة اما اليوم فقد تبدلت الحال ولا اظن بين الاطباء المعاصرين من يستعمل الحقن بالكولوييد لمعالجة ذات الرئة مثلاً . ولا سيما بعدما اهتدى الطب الى مركبات السلفاميد التي سيكون لها شأن عظيم في تخفيف ويلات الامراض وبعد الدواء الجديد وهو البنسلين الذي عولج به الجنود في اول الامر ويكاد اليوم يعم استعماله في المستشفيات .

واذا اهمل اليوم حقن املاح الكولوييد في الوريد فان حقنها داخل العضل لم يترك لان رد الفعل الذي تحدثه خفيف ولا خوف منه . وعلى هذا الوجه يؤخذ من دم المريض ويحقن به في العضل في معالجة الاكزيما المستعصية والربو .

وبعد استعمال الاملاح جربوا المكروب نفسه فكانت معالجة الشلل العام بمكروب الملاريا . والشلل العام هو اشد العواقب هولا لمن يصاب بداء الزهري فيقضي على عقله وتفكيره قبل ان يقضي على حياته وسببه وجود مكروب الزهري في المادة الدماغية حيث يكون في مأمن من وصول الدواء اليه فلا الزرنيخ ولا البزموت ولا الزئبق قادر على اخراجه من هذا المكمن والذي لفت انظار الاطباء الى استعمال الملاريا للشلل العام هو التحسن الذي كان يرى في حالة المريض عندما يصاب بداء حاد كالتهاب اللوزتين او ذات الرئة فيخف اضطرابه ويعود الى ذهنه بعض الصفاء . والظاهر ان الصدمة التي تحدثها حمى الملاريا تفتح ثغرة في خطوط الدفاع التي اختارها له مكروب الزهري في المادة العصبية فيسهل عمل العقاقير الاخرى من زئبق وبزموت وزرنيخ .

وخلاصة القول ان بعض الامراض قد يؤثر في سير البعض الآخر وبين انواع الجراثيم تضاد وعداوة نشهدهـا في المختبرات فربما امكن استخدامها يوماً في الجسم الانساني . ومن المعلوم ان باشلوس الصديد الازرق يمنع نمو بكتريا الجمرة الخبيثة حتى انه يمكنك حقن الحيوان بكمية قاتلة من هذا الاخير فلا تؤثر به على شرط ان تمزجها بقطرات من مزدرع باشلوس الصديد الازرق فمن يدري مـاذا يخبئه المستقبل للطبيب في هذا الميدان الواسع المجهول .

على كل حال ربما كان من بواعث التعزية للانسان ان يعرف ان الحمى التي تحرق جسمه ليست دائمـاً نذير سوء وما الامراض المختلفة التي تتناوبه في ادوار حياته الا ضرب من اللقاح يكسبه مناعة جديدة ولا ريب ان اول ضحية لاول وباء يحدث في قوم هو ذاك الذي لم يذق في حياته طعم الداء ولم يستنشق الا هواء نقياً ولم يشرب الا ماء طهوراً . فلم تتهيأ له المناعة اسباب .

نقولا فياض

ابن التلميذ الطبيب

بقلم عبد العزيز احمد

أود ان اهدي الى الشباب صورة رائعة تحيي املهم وتذكي حميتهم وتشجعهم على الكفاح في سبيل المثل الاعلى الذي ينشدونه ، وتهديهم الى الطريق لبلوغ الغـاية التي يعملون جاهدين لادراكها .

صورة تشيع فيها الحياة على قدمها وتنطق بالعظمة وقد خفت صوت صاحبها من اجيال .

زادها اشراقاً وبهاء ما تمثله من طموح قوي وعزم شديد .

وهي مثل من امثلة النشاط الجم والجهد العظيم والثقافة الواسعة .

لم نخترها لانها فريدة في نوعها ولكنا انتخبناها مثلاً من كثير غيرها ، وعنواناً لصفحات مجيدة خالدة من امثالها

تلك صورة رجل عاش في عصر ازدهار الحضارة العربية وانتشار العلوم وامتزاج الثقافات ، ابى عليه طموحه ان يقنع بما يقدم اليه من زاد قليل ، على كثرته ، مستعار ، على جدته ، ولم يشف نهمه ما اتيح له من غذاء عقلي تغير شكله ولم يفقد جوهره ، وهو منتهى امل كل طامع في التزود من الثقافة الجديدة باوفر نصيب فقد شغف بالعلم الى اقصى حد وسعى للتحصيل ما امكنه الجهد ووسعته الطاقة البشرية ، وما ابعد حدودها وافسح مداها مع الارادة القوية .

رأى ان يرجع الى المنبـع يستمد من فيضه فتعلم اليونانية والفارسية والسريانية وتضلع في العربية وهي طلبة العالم وعماد الفيلسوف وعدة الاديب وغايته المبتغاة .

ظفر من كل ذلك بحظ عظيم ، وانصرف الى الطب فاجاده واشتغل بالتأليف فاوفى على الغاية . لم يشغله طلب القوت والسعي له عن الحرص على العلم والدأب وراء المعرفة . زاوج بين العلم والفن وجمع بينهما جمعاً موفقاً .

لم تصرفه مهارته ، في الطب وخبرته باساليب العـلاج وخفة يده في اجراء الجراحات عن الميل الى الفن الجميل ، فشغف بالموسيقى وتوقيع النغم فقرب الفنانين اليه ، كما كان صناع اليد جميل الخط فكان عبقرياً نابغاً .

كان مسيحياً وظفر بثقة المسلمين واعجابهم ، فما عرف المسلم التعصب ولا العصبية الا في الحق .

اقبلت عليه الدنيا لحذقه في فنه ولم تجن عليه حرفة الادب وقد اولع بها .

لم تلهه دنياه العريضة واقبالها وما استغرقته من مشاغل واعمال عن الاخلاص لدينه والبصر به والتعمق فيه حتى كان (مقـدم النصارى ورئيسهم وقسيسهم)

لم يبطره ما ادرك من حظ وما حصل من ثروة وظفر به من جاه عند الخلفاء واكبار من الاعيان والوجهاء فينأى بجانبه ويتيه كبراً فما زاده كل ذلك الا تواضعاً . كانت فيه رقة الادباء وظرفهم ووقار العلماء واعتزازهم فهو حلو الشمائل كريم الخلق حميد السجايا . عذب الحديث حسن الدعابة لطيف النادرة ذو مروءة وسخاء .

حباه الله بسطة في العمر فأدرك عدة خلفاء وتخرج على يديه كثير من التلاميذ في الطب .

فكان العالم الاديب والشاعر الناثر

كما كان الطبيب الآسي والصديق المؤاسي .

ومن ثم كان له رأي في الدرس والتحصيل ومذهب في الادب والتثقيف ومنهـاج دقيق يسير عليه في حياته العملية والعقلية ، ويشير به على من يعزه ويصطفيه .

وهل اعز عليه من ولده ؟

ذلك هو هبة الله بن صاعد الملقب بموفق الملك امين الدولة ابي الحسن بن ابي العلاء المعروف بابن التلميذ الطبيب البغدادي المتوفي سنة ٥٦٠ هـ بعد حياة طويلة حافلة احتواها نحو قرن من الزمان .

ترجم له المترجمون فأكثروا من ذكر اخباره ونوادره ومؤلفاته .

واست بطيل عليك برواية ما قالوا! فربما كان اجدى من ذلك وادعى الى الانصاف ان اشير الى بعض تآليفه وآثاره فهي نتـاج عقله وثمرة تفكيره وعنوان ثقافته وهي التي رسمت طريقه في الحياة وفي ضوئها سار وعلى نهجها درج .

فقد تناول مؤلفات الاقدمين بالتحشية او الشرح او الاختصار فله حاشية على قانون ابن سينا وعلى المنهاج لابن جزله و . . وله شرح لمسائل حنين بن اسحاق و . . ومختصر الحاوي لابي بكر الرازي ومختصر كتاب الاشربة لمسكويه ومختصر تقدمة المعرفة لابقراط . . ثم مختار كتاب ابدال الادوية لجالينوس و . . ومؤلف في الطب ومقالات في الادوية وفي الفصد والاقراباذين .

وهو حريص على التوفيق بين ما تهدي اليه التجربة وما يعرفه العلم ويقره فتراه وهو المسيحي ديناً قد رجع الى احاديث الرسول عليه السلام فشرح منها مـا اشتمل على مسائل طبية وادلى فيها

برأي العلم في عصره .

كانت طريقته في العلاج الا يصف دواء اذا كان في تنظيم الغذاء الشفاء ولا يلجأ الى المركبات من العقاقير ان كان في مفرداتها غناء وبذلك طار صيته واجدى عليه فنه (مالاً عظيماً ومتاعاً حسناً كثيراً) .

هذا هو صاعد الطبيب العالم واما الشاعر الناثر فتعرفه من ديوان رسائل كبير وديوان شعر صغير ، لا ضرورة للتحدث عنهما وانما اعرض عليك فقرات من رسالة كتبها لابنه رضى الدين تتبين منها مذهبه الادبي كما عرفت منهجه العلمي ، فاستمع له وهو يسدي النصح اليه :

« .. الفت ذهنك عن هذه الترهات الى تحصيل مفهوم تتميز به ... وفز بحظ نفيس من العلم تثق من نفسك بانك « عقلته وملكته » لا قرأته ورويته ... واعوذ بالله ان ترضى لنفسك الا بما يليق بمثلك ان يتسامى اليه بعلو همته وشدة غيرته على نفسه .. ومما كررت عليك الوصاية به ان تحرص على الا تقول شيئاً لايكون « مهذباً في لفظه ومعناه » وان تصرف معظم حرصك الى ان تسمع « ما يفيدك لا ما يلهيك » مما يلذ للاغمار واهل البطالة رفعك الله عن طبقتهم ...

ويستشهد باقوال افلاطون وارسطو في الفضائل ثم يقول :

واغلب خطرات الهوى بعزائم الرجال الراشدين واطمح الى المعالي باطاعة عقلك فانك تسر بنفسك وتراها .. في رتبة علية .»

هذا بعض ما قاله في رسالة واحدة .. فماذا ترى ؟ ألا تمثل ادق تمثيل شخصية الرجل ومذهبه في الحياة والاخلاق وفي الثقافة .

أرأيت هذا المنهاج الدقيق الذي رسمه لابنه بعد ان اخذ نفسه به ؟

أظنني لست في حاجة بعده الى بيان او تعليق فآراؤه واضحة لا خفاء فيها ولا لبس .

كذلك تلمح من خلال آثاره الادبية الاخرى انه ضنين بالعلم على غير اهله وهو عنده كالغذاء الجيد ينفع الصحيح ويقتل المريض فمن ذلك قوله :

العلم للرجل الاريب زيادة   ونقيصة للاحمق الطياش
مثل النهار يزيد ابصار الورى   نوراً ويعمي مقلة الخفاش

أليس في كل مـا تقدم ثقافة للعقل ورياضة للذهن ومرانة للفكر وحسن توجيه للقلم واللسان .

ولعلي اعرض عليك شيئاً من شعره لا على انه من خير ما نظم الشعراء ، ولكن لترى حبه للادب وغرامه بالمساجلات الشعرية كالذي جرى بينه وبين ابي القاسم بن افلح الشاعر (وقد نقه من علة بعد ان عالجه الطبيب صاعد وحرم عليه ان يتناول الغذاء الا بامره) اشفق المريض من الحرمان فاشتكى شعراً وعز على الطبيب ان يجيب على شكاته بغير الشعر .

قال ابن افلح :

انا جوعـان فانقذ   ني من هذي المجـاعة
فرجي في الكسرة الخبـ   ز ولو كانت قطاعة
لا تقل لي ساعة تصـ   برُ ما لي صبر ساعة
فخواي اليوم لا يقـ   بل في الخبز شفاعة

فكتب اليه الطبيب :

هكذا اضياف مثلي   يتشاكون المجاعة
غير ان لست اعطيـ   ـك مضراً بشفاعة
فتعلـل بسويق   فهو خير من قطاعة
بحياتي قل لما تر   سمه سمعاً وطاعـة

فرد عليه ابن افلح :

ان مرسومك عندي   قد توخيت استماعه
غير اني لم اقل من   نيتي سمعاً وطـاعة
ودفعت الجوع والا   ه فلم اسطع دفاعـه
فأكفني كلفته الآ   ن وجنبني صداعه

فأشفق عليه الطبيب وقال :

انا في الشعر ضعيف الط   بع منذور البضاعة
ولك الخاطر قد او   تي طبعاً وصناعة
ومتى لم تكف شر الـ   جوع لم تكف صداعه
فعلى اسم الله قدم   اخذه من بعد ساعة

أرأيت هذا الرجل النبيل الذي وافقت حياته العملية حياته الفنية ، وطابقت صلاته بالناس وعلاقته بهم مذهبه في الاخلاق فترفع عن النقائص وتجنب الدنايا على الرغم مما مني به من دس ووقيعة كادت تودي به فضرب عن كل ذلك صفحاً وآثر العفو حين اتيحت له فرصة الانتقام .

أيأخذك العجب بعد هذا لو عرفت انه قد اجتمع في جنازته من الخلق ما لم يجتمع لغيره واحتشد لوداعه يوم مات من المسلمين والنصارى ما لم يظفر به عظيم ؟

لقد كان صورة صادقة لحياة زاخرة بالنشاط جديرة بالتسجيل ، ومثلاً رائعاً للرجل المثقف ثقافة عميقة شاملة هي مطمح كل شاب وامنية كل طالب .

رسمتها لك مصغرة ، وقد تكون غير دقيقة الرسم ولا مجملة بالزخارف فان التجميل يقصد به اخفاء العيوب وقد برىء هو من كثير .

وانا ارجو من وراء ذلك ان تكون عبرة للشباب وحافزاً لهم على الجد والدأب فما ضاع الوقت ولا ضاقت السبل او قلت الوسائل .

انه رجل والرجال قليل .

عبد العزيز احمد

جمال الفن الايراني

بقلم محمد امين حسونه

*

استطاعت ايران(*) على مر الدهور ان تتسامى بفنانيها عن تحكم الميول والنزعات المادية فحافظوا على طابعهم القومي كما يحافظ العابد على عبادته ووفقوا ببضع لمسات من ريشهم الساحرة الى تخليد البيئة المحيطة بهم وتلوينها بروحهم الشرقي الحار ، فجاءت رسومهم مطابقة لالوان الطبيعة وما يشع منها من ضوء واضح وقوة ملموسة .

والواقع ان الطبيعة في ايران كانت – ولا تزال – مثار خيال خصب لطائفة من الفنانين غذوا الانسانية بمبتكراتهم التي لم يتكلفوا جهداً في تسجيلهـا فبلغوا حظاً وافراً ، وشأواً بعيداً في الاناقة والدقة .

والفن الايراني مرآة لطبيعة البلاد الايرانية تتمثل فيه مناظر جبالها الضخمة ، وحيواناتها الضارية ، ووحوشها القوية ، ثم حدائقها الغناء ، وازهارهـا البديعة الالوان والتنسيق ، وسماؤها الزاهية ، والوانها الصاخبة . وقد طبع الفنـان الايراني مبانيه ومنحوتاته ، وتحفه ، ولوحاته بهذا الطابع القوي الذي امتاز به في كافة العصور والذي احتل به مركزاً فريداً في تاريخ الفنون .

وفي الوقت الذي انصرفت فيـه الشعوب الاسلامية عن فن التصوير بحجة ان الدين يحرمه حتى لا يرتد النـاس الى الوثنية ، تجاوز الايرانيون هذه الحدود والتخوم المرسومة اذ لم يكن من السهل عليهم التخلي عن تقاليد اسلافهم واساليبهم المصطلحة في فنون التصوير والنقش والتحف الخزفية . فصوروا الانبيـاء والصحابة ، وعمدوا الى السيرة النبوية فابرزوا محاسنها وسجلوا مواقفها الرائعة ، واعتمدوا في تصويرها على الاوصاف التي دونها الكتاب والمؤرخون ، فرسموا الرسول الكريم وهو يتلقى الوحي في غار حراء ، وتخيلوا موت ابي جهل في معركة بدر ، وكذلك قصة المعراج ، ووضع الحجر الاسود في بناء الكعبة وتحطيم الاصنام والازلام .

ومما ساعد على رقي فن التصوير والنقش ان الملوك تولوا بانفسهم رعاية هذه الفنون وكافأوا المجدين والمبرزين ، وأسسوا مدارس ومراكز فنية ازدهرت فيها فنون التصوير ، وزينوا قصورهم بهذه الآيات البينات ، وبالخطوط البديعة التنميق والتكوين ، وزخرفوا المساجد برسوم النباتات ، وذهبوا الكتب والمصاحف ، وطرزوا المنسوجات بالالوان الزاهية ، وكفتوا الاواني بالذهب ، وطعموها بالفضة ، ونقشوا على السجاجيد والابسطة اجمل النقوش الهندسية ومناظر الاشجار والحشائش والازهار ، ورسوم حيوانات الصيد وادوات القنص ومعدات القتال .

*

يرجع الفن الايراني الى نحو خمسمائة عام والفين على عهد الدولة الاكامية ، فهو ماثل في قصورهم الباذخة البناء ، والجدران الموشاة بالالوان الزاهية ، وفي السجاد المنقوش بالرسوم والورود والازاهير والاطيار ، وفي الاعمدة الضخمة البديعة التناسب والتنسيق . ثم اتخذ الفن طابعاً قومياً منذ العصر الساساني فظهرت النقوش المعبرة عن روح البطولة وامجاد الشعب وتجلت عظمة الفن في تلمسهم الجمال المطلق في التماثيل وزخرفة المباني ، وتزيين التحف بالرسوم الفنية في العمائر مما يذكرنا بالفن الاغريقي .

وقد عاش في القرن الثالث مصور ماهر يعد اكبر فناني ايران قبل الاسلام ، وهذا المصور هو « ماني » الذي كان في الوقت نفسه من كبار رجال الدين وصاحب مذهب المانوية ، فاستعان برسومه البديعة الظلال والالوان على نشر دعوته الدينية ، ولوحاته من نوادر الفن التي تزدان بها المتاحف العالمية .

(١) عن كتاب ساعات الصمت قيد الطبع .

وقد نشأ الفن الايراني في العصر المغولي متأثراً بالفن الصيني ، بالنسبة الى العلاقات التي كانت قائمة بين الاسرتين المغوليتين اللتين تحكمان البلدين ، مما ادى الى نزوح فريق من مهرة الرسامين والصناع من الصين الى ايران ، وعنهم تلقى الفنان الايراني اصول الصناعة ، سواء في رسوم الانسان والحيوان والنبات وزخرفة الاواني والتفنن في نقش المنسوجات ·

ففي العصر المغولي نجـد الوجوه مستديرة ، والسحن متقاربة ومتشابهة ، والعيون صغيرة منحرفة ، ممـا يدل على تأثير السحنة الصينية في نفس المصور ومحاولته محاكاة الفن الصيني وتقليده ، ولكن هذه العوامل لا تعيب الفن الايراني ، لان الامم لا بد ان تتأثر في فترة النشأة الاولى لتربيتها الفنية بعوامل خارجية · ونجد ايضاً المسافات غير متناسبة بين الاشخاص وبين المناظر الخلفية ، ثم ان الالوان والاضواء باهتة ، ليس فيها تنوع محسوس وينقصها الروح والظل وكمال التعبير ·

وشهد العصر التيموري مرحلة انتقال ومرحلة تطور ذهبية في الفن بل يمكن ان نقول انها مرحلة الكمال الطبيعي · ويرجع هذا التطور الى تأثير شخصية تيمورلنك الذي كان يميـل بفطرته الى الفنون الجميلة ويشجع القائمين بامرها ، وقد جمع في عاصمة ملكه الوفاً منهم واغدق عليهم نعمه ، وكلفهم نقل اللوحات التصويرية من البلاد التي كانت جيوشه تستولي عليها كبغداد وتبريز ·

واتخذت مدينة (هراة) فيما بعد مركزاً فنياً رئيسياً يغذي بقية الفروع ، وازدهرت بين ربوعهـا فنون التصوير ، والنقش ، والتذهيب ، وصناعات السجاد وتكفيت المعادن بالذهب ، والميناء ، وقد دعى شاه رخ نفسه « راعي الفنانين » وعمل على تأسيس مكتبة نفيسة ، وجمع للفنون الجميلة ضم اليه عناصر ممتـازة من اعلام المصورين ، ونوابغ الخطاطين ، ومهرة الصناع ·

واعتمد فنانو هراة على شخصيتهم القوية وبسطوا سلطانهم الفني واتقنوا التفنن في رسم اشكال الزهور ، والنباتات ، والاشجار ، بعـد ان استوعبوا الاساليب والالوان الصحيحة التي وصلت اليهم من الشرق الاقصى ·

ويعد بهزاد اقوى شخصية تمثل لنـا عظمة الفن وتطوره في العصر التيموري ، وابرز مصور في الشرق استطـاع الوصول الى مثله الاعلى ، بحيث كسفت لوحاته شمس المصورين المعاصرين والسابقين ، وتسابق الملوك والامراء الى تحلية قصورهم بآثاره الرائعة ، واسندت اليه امانة دار الكتب الملكية والمجمع الفني ·

ويمتاز فن هذا المصور بمحاكاة الطبيعة ، وتفسيره رموز الكون والحيـاة ، وتتمثل شخصيته المستقلة في خروجه عن الاوضاع والتقاليد المألوفة ، وابتكاره اسلوباً خاصاً به ، يتركز في بعثه روح الحركة ، وتصوير خياله وعواطفه ، وادق خلجات نفسه ، اما خطوطه فتكاد تتحرك ، وشخوصه تنطق من فرط المعـاني الجياشة التي يخلعها عليهـا ، حتى انك لتلمح التجاعيد الدقيقة تعلو بعض الوجوه ، وتكسو الجبهة ·

وتجلت مواهب هذا المصور الفذ ايضاً من ناحية صبه رسومه في قالب نموذجي ، وفي عجينة الوانه التي يمزجهـا مزجاً عجيباً ، يمتلئ الفؤاد من هدوئهـا ، وترتاح العين اليها · ومما يدل ابلغ الدلالة على تأثير شخصية بهزاد في عصره ان بعض المصورين كانوا اذا ما انتهوا من رسومهم ذيلوها باسمه ، جلباً للشهرة ورغبة في الربح المادي الذي ينالونه من وراء عرضها ·

وهناك مصور نابغ عاصر بهزاد وتأثر بفنه ، وهو قاسم علي الذي برع في تصوير الطبيعة والنساء العاريات ، والحدائق الغنـاء ، تظللها الاشجار ويتجادل تحتها الشيوخ والصوفية في مسائل الدنيا والدين ·

ونماذج هذا الفنان تكتم في صدرها خواطر رصينة ، وينبعث من الوانه عظمة ووقار تحدرا اليها من اجيال بعيدة · ألوان باهتة هادئة كأن ظلالها تستخلص سكينتها من مناظر الشفق وانوار الصباح · ولما جاء الصفويون الذين حكموا ايران زهـاء قرنين فرضوا في خلالها المذهب الشيعي ، كان عصرهم عصر رخاء ، غنياً بالانتاج الفكري ، فتقدمت صناعة التصوير وامتازت بحسن الذوق ودقة الاحساس وارتفع شأن رجال الفنون الجميلة فأعادوا الى ايران مجدها الفني السالف ·

ونمت في بخـارى وتبريز وسمرقند مدارس فنية ترفعت عن الاساليب المرسومة وتسامت عن الموضوعات المطروقة ، خصوصاً بعد استيلاء الازبك على هراة ، وفرار طائفة من مهرة المصورين الى بخارى حيث اسسوا مدرسة برز منهـا الرسام محمود مذهب · ويستوقف النظر في مخلفات المدرسة الصفوية : الوحدة والانسجام وخلط الالوان بأشعة الشمس وصفاء السماء ، وتسجيل حياة البلاط وما احتوت عليه مجالس الشراب من لهو وشهوات ، هذا الى انهم برعوا في ان اتخذوا من قصة يوسف وزليخا موضوع رسوم باهرة متعددة القالب والوضع ، تهتف بنغمات شجية تمس اوتار القلوب ،

التتمة على الصفحة ٦٣

ينابيع الادب الحي

بقلم عبد اللطيف شراره



لايام خلت، في مجلس من مجالس الشباب المتعلم، حول احد الاساتذة الفرنسيين، وانتقل الحديث بعد فترة، الى ادبنا المعاصر وما ينكشف في آثاره عن هزال الروح، وضعف الاداة، وسقم البيان حتى لكأن الاديب العربي، اصبح في غمرة الحوادث الراهنة لفظاً، من هذه الالفاظ التي يجري بها قلمه، اي ليس له اي تأثير في مجتمعه، كما انه ليس لالفاظه اي معنى ... وانفض حُدّاث المجلس عند هذه النتيجة مطمئنين الى صحتها .

بيد ان الواقع الذي يلمسه حملة الاقلام في الديار العربية حالياً، لا يعدو تلك النتيجة التي انتهى اليها ذلك المحفل، فهم يتظلمون من انصراف الجمهور عن ادبهم، وعجزه عن التقدير، وتنكره للادباء بينا هم يتسامعون بمنزلة الاديب وعلوها في اميركا واوربا. ولكنهم يهملون في نفس الوقت الذي به يتظلمون، اساس الموقف، ولا يتلمسون اسباب الظلامة في انفسهم، ولا يستقرئون حياتهم التي يحيونها استقراء باحث يلحظ فيها وجوه السمو لتكون «قدوة» ويبتر منها علة الضعف لتصبح «عبرة». بل يواجهون الجمهور اما بجد صعر ونفس عاتية، واما بلسان ملق وقلب فاتر، وما منهم من يحاول اداء رسالة يحس انه فرض عليه ان يؤديهـا ولا يبالي أأطبقت السماء على الارض ام قيل: بعداً للقوم الصالحين!

ولم يكن الموقف بهذه المرتبة من الحراجة الا لان الادباء في لبنان وغير لبنـان، يترسمون خطى الاوربيين في التعبير والعرض والاخراج في حين ان جمهرة الشعب ذات مستوى روحي خاص لا ينسجم في كثير ولا قليل مع تلك الاساليب في التعبير، ولا يتحد بتلك المعاني والصور اتحاداً يفيده ويفيدها، ويعززه ويعززها، مما احدث هذه الهوة العميقة بين الادباء المتفرنجين وطبقات المجتمع .

ذاك في جـانب، وفي الجانب الآخر – وهو الاهم – ان ينابيع الادب الحي، لا تزال مغمورة في مجتمعاتنـا العربية، ولا تزال بعيدة الغور، على الرغم من هذا التقدم السطحي الذي نبصره في انتشار الصحافة وتعلم المرأة، وسفورهـا، وطراز المعيشة، والاخذ بالاساليب الحديثة في التربية. فهناك روافد للقريحة الادبية لا تزال في حاجة الى من يكتشفها، ويدرسها، ويغذي بها حياتنا الاجتماعية تغذية متواصلة الى ان تفيض في قرائح الشعراء، ومداد الكتّاب ...

١

والحريةُ اول ينبوع !

ولا اقصد بالحرية مظهرها السياسي أي تلك الحالة الاجتماعية التي تخوّل الناقم ان ينفث نقمته في مقالة تنشرها صحيفة، وتفسح للثرثار مجال الثرثرة في الاندية والمحافل، وتمنح الابكم لساناً اعوج الانحاء لا يستقيل من عثرة الا ليقع في عثرة اخرى، لا .. وانما اقصد بها ذلك الانعتاق العبقري الواعي الذي تشعر معه بالحرية وانت مغلول اليد، مكفوف البصر، محروم من النور والهواء، وينطلق بك في آفاق من الجهـاد والعمل وانت عار من السلطة والثروة والتأييد، فـلا يشلك عجز، ولا يقعد بك فقر مها تألبت عليك الزعازع، وتحزّبت في وجهك الاضاليل، واهتزت فوق رأسك سياط العذاب !!

هذا النوع من الانعتاق يحرر المرء اولاً من اهوائه الشخصية ونزعاته الانانية، فلا يستهويه الجاه لانه حر، ولا تتصباه المناصب لانه حر، ولا تغريه الالقاب لانه حر، ثم تغتلي في نفسه حريته هذه غلياناً مراً مرهقاً، فلا يستقر الا حين تتمثل في غيره، ويتلبس بها غيره، وتصبح جزءاً متمماً لكيان غيره .

وتلك الحرية هي التي نجدها عند «صعاليك» العرب القدامى امثال عروة بن الورد، والشنفرى، وتأبط شراً، ومن اليهم من العدّائين، فان هؤلاء وامثالهم لم يكونوا من الدنيا في العير ولا في النفير، ثم نراهم احراراً على ابدع واجمل واسمى ما تطالعنا الحرية

في مظهرها البدائي الرائع ، فهذا الشنفرى الذي لم يكن له من فضل يذكر به سوى سرعته في العدو يتحدى بناة الممالك وذوي المجد البذخ قائلاً :

وأستف ترب الارض كي لا يرى له علي من الطول امرؤ متطول

ولم يكن ليستف ترب الارض الا ابقاء على حريته وصوناً لها . وهذه الحرية ايضاً هي التي طوّحت بالكميت ، وقتلت دعبل الخزاعي ، وانطقت الهاشميات والهاشميين بما اقض مضجع معاوية وثل عرش الامويين من بعده ...

فأي اديب من ادباء العرب يمارس اليوم هذه الحرية ؟ بل أي اديب لم تستعمره الشهوات استعماراً يجعل قلبه قفراً يباباً ، ويحول نفسه الى صحراء مجدبة الارجاء ، لا يجد فيها الجمهور الا اشباح الجن وتهاويل العراء ؟؟ وهل لهذه المهامه الظامئة الجافة ان تفيض على الناس من نعيم الجمال وخفض النعيم ما ينهنه الحياة عن غلوائها ؟

— سبحانك ربي! انك اعلم بهم مني ، وانت احكم الحاكمين .

٢

والايمان هو الينبوع الثاني .

وايمان الاديب بصدق رسالته يفرض ان يكون وراء ادبه الذي ينشره على الناس عقيدة راسخة تتناول مفاهيم الحياة والموت ، وتشمل وجوه الآراء شمولاً تاماً مستقيماً . وهي تنشأ اما عن فطرة سائغة حلقت بصفائها الى عالم علوي ، واشرفت منه على جميع ما يجري في الارض ، واما عن ثقافة واسعة امتدت الى جميع فروع المعرفة فلا تخفاها من نواحي النشاط العقلي خافية ، واما عن فطرة وثقافة معاً .

والواقع الذي يواجهنا في اكثر ادبائنا اليوم انهم لا يأبهون لشيء اسمه « العقيدة » ، فليس ثمة ايمان حتى بالادب الذي ينفقون فيه اوقاتهم ، ويدعون الناس الى رعايته ، ويستمطرون عليه وابلاً من دموع الرثاء . فالنثر والشعر ليسا ، عند آخر تحليل ، غاية يسعى اليها ، بل انها وسيلة من وسائل البيان عن الروح وما يعتمل فيها ، وما تتوق اليه . وقد انقلب هذا المفهوم للادب رأساً على عقب حين ارتقت الصحافة ، وانتشر التعليم الابتدائي وتضخمت دواوين الدولة فأصبح الكاتب يُعنى بانشائه ، والشاعر يلح على نفسه ليصعد في سلم الوظائف او يستخرج الذهب من مناجم الصحافة او يتربع على عرش الجاه الادبي . واصبح الادب — ازاء هذه الشؤون — أداة كسب كما كان الشعر على عهد المتكسبين به من قبل تماماً ، مع هذا الفرق الضئيل ان الشعراء الاقدمين كانوا يتملقون افراداً معروفين ، وادباء اليوم يتملقون الجمهور ...

اما ذلك الايمان الذي يجعل من الاديب مهما كانت وجهته ، نبياً في صلابة عقيدته ، وبطلاً في ساحة نضاله ، وشهيداً عند انقضاء اجله فانك لا تعثر عليه ابداً . فهل سمعت بأديب عربي معاصر نُفي او سجن او شرّد كما حدث للادباء الاقدمين ؟ وهل سمعت بأديب صرخ في وجه الظلم صرخة هزت النفوس الى اعظام الادب وأهله؟ أم سمعت بأديب قضى حياته ينافح عن امته السلبية المقهورة في الآونة الاخيرة ؟

— انك لم تسمع بشيء من ذلك ، على رغم ما في حياتنا الاجتماعية والسياسية من عيوب ونقائص . وعلى رغم هذه السيول الطامية من المجلات والجرائد الحافلة بالابحاث والقصائد والمقالات . وما ذلك الا لهذا الكفر العارم الغامر الذي يشيع في كل نفس ، ويشتت شمل كل رأي او مذهب ، ويهدم كل حزب او منظمة .. فمن اين يفيض الادب الحي وجملة ادبائنا يتناقشون في معنى قصيدة رمزية ، او في تركيب الفاظ يسمونها « غزلاً » ؟؟

٣

والحب ينبوع ثالث !

... ولا حاجة بي الى تكرار الدرس الذي لقنتنا اياه الحجاز على عهد الامويين ، يوم تغنى الركبان ، وحدا الحداة باشعار ابن ذريح وابن الملوح ، وجميل بثينة ، وكثير عزة ، وعمر ابن ابي ربيعة ، فان هؤلاء الشعراء الذين بلغوا ما بلغوا من عبقرية سامية ، وافاضوا ما افاضوا على لغتنا من جمال ، وخلفوا لنا ما خلفوا من آثار خالدة ، لم يرتقوا تلك القمم الرفيعة عن دراسة لنظريات « فرويد » ، ولا عن شهادة اخذوها بعلم « السكسلوجيا » ، وانما تلك ارواح شغفتها انواع الجمال حباً ووهلاً فتدفقت بآياتها البينات وسجلت احاسيسها في اشعار ستبقى رائعة ما بقيت المرأة تُحِب ، والرجل يحب ...

وليست هذه المدارس الادبية من رمزية ومثالية وواقعية الا مظهراً من مظاهر الجمود في الفكر والروح ، ودليلاً قاطعاً على انحطاط العصر الذي نعيش فيه ، لان المحب الصادق لا يعبر عن شوقه وتدلهه بالفاظ باردة جوفاء ، ومقطّعات بيانية ممسوخة ، واذا فعل سرى الشك في صدقه الى نفسه ، وبرد فؤاده ، وشاهت عاطفته . والمرء لا يلجأ للصناعة الا حين تعوزه الطبيعة . والحب

حين يستحوذ على النفس ، ويستأثر ملكاتهـا العاقلة ، ينهمر من تلقاء نفسها بياناً واضحاً زاخراً كالعباب المزبد، كقول ذلك البدوي الذي لم يكن يحمل شهادة « السرتفيكا » :

تغلغل حب « عثمة » في فؤادي فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شرابٌ ولا حزن ولم يبلغ سرور

أرأيت الى هذا الحب وتغلغله ؟ أرأيت اليه كيف اتضح وبان على انه موغل في البعد الى ما وراء الحزن والسرور ؟ كذلك قل في جميع عشاق العرب المشاهير من عهد المرقش الاكبر الذي تحدث عنه المفضل الضبيّ الى بدوي الجبل في يومك هذا ، فانهم لم ينظموا الشعر الا لان حبهم كان يرغمهم قسراً على ان يكونوا شعراء .

ولكني لا اعني بالحب كينبوع ادبي ، هـذه الناحية منه فحسب ، وانما هو الحب في اوسع معـانيه وارحب آفاقه ، او هو « المحبة » التي يعرض لها الكهنوت المسيحي ، ويفصل ابعادهـا الاربعة : طولاً وعرضاً وعمقاً وعلواً ، فانها المصدر الاكبر للادب الرفيع ، وهي التي بعثت في الارض مؤلفات القديس اوغسطين ، وألهبت باسكال ، وشاتوبريان ، ولامرتين وغيرهم .

فاذا تأملت المجتمعات العربية تبحث عن هذه الظاهرة، الحب، او المحبة لا تقع على شيء منها ، وأنى لها ان تكون ، وحياتنـا الاجتماعية موزعة بين الف مذهب ومذهب ، والف عقيدة وعقيدة .

واذا وُجدت رأيتها ذات لون باهت كئيب ، تتمثل في حوادث الانتحار ، والامراض التناسلية : ولا تنتج من انواع الادب غير تقارير الدرك ، وشتائم العصر المتمدن .

٤

واخيراً ... الحماسة !

وتلك ميزة خاصة تدفع بالنفس الى التوثب ، ومغالبة الصعاب ويستعلي بها الانسان على ظروفه ، حتى ليطير بلا اجنحة ، ويجترح بها المعجزات في كل ميدان من ميادين النشاط الفكري .

واغلب الظن انها تنشأ عن احترام للنفس وتعلق شديد باسباب العفة والعدالة ، وانصراف عن الشؤون التافهة في الحياة .

ولا يتأتى لاديب بالغاً ما بلغ من الحكمة والرصانة ان يحلق في اجواء من الادب الرفيع دون ان تحمله الحماسة الى تلك الآفاق!، ولكنها ، في عالم الابداع الفكري، كالحرية في الاجتماع البشري، اذا تجاوزت حدودهـا وانحدرت الى الشطط في القول او العمل تخسر فعاليتها وتتحول الى ضرب من الهوس الذي يعود على المنتج والانتاج بالضرر ، خلاف الايمان او الحب ، فانهما يزدادان قوة وحيوية كلما اوغلا في العمق او العلو ...

على ان هذا لا يمنع من ان تكون الحماسة شرطاً ضرورياً للانتاج الادبي فهي شبيهة بالحرارة اللازمة للجسم ، ولكن على قدر معين فان نقصت كان نقصانها علامة اعتلال ، وان هي زادت كانت زيادتها علامة اعتلال ايضاً .

والملحوظ عند الشعوب العربية في هذه المرحلة من حياتنا ان حماسة الافراد كحماسة الجماهير تندلع ألسنة لهيب جائح في فترة ، ثم تخبو خبواً تاماً في فترة تليها ، دون ان تحتفظ بشيء من التوازن في الفترتين ...

والادباء لا يختلفون عن الجماهير في هذه الناحية ، فان حماستهم للدفاع عن الفكر ، او لبنـاء منشآته ، او لايقاظه لا تنبثق عن انفسهم بمقدار مـا تسعرهم الظروف الخارجية ، ولذلك ، ضعف اثرهم ، وقل تأثيرهم في المجتمع .

٥

هذه هي ينابيع العبقرية الادبية : الحرية ، والايمان ، والحب والحماسة ، وقد ظهر لنا من دراستها انها نضبت في بلادنا او كادت، ولم يبق لدينا من حقيقة الادب غير انغـام ناشزة ، وصور باهتة ورسوم دارسة ، ينبعث جلها ، ان لم يكن كلها ، عن محاكاة للاوربيين، وخبط في مسالك الانشاء القويم ، وتعسف في ارتياد الاغوار الخصيبة ، وتطلع كاذب للتجديد .

فعلى ادبائنا ان يعالجوا هذه النواحي في حياتنا معالجة جريئة ، وعليهم ، قبل اي انتاج ، ان يعبوا من تلك الينابيع الى ان يرتووا ، ويفيضوا علينا من مواهبهم بعد ذلك ما يسكر الابصار والبصائر والاسماع ...

اما الان ، فان الآثار التي بين ايدينا تترك مجالاً كبيراً للشك في صدقها واتساق نموها ، وقوة حيويتها بله خلودها . ولن تقوم لنا قائمة ادبية الا حين نرجع الى نفوسنا وحياتنا وتاريخنا ولغتنا نستنطقها جميعاً عما جرى ويجري فيها لتوحي الينا بالبديع من آيات البيان .

— اظن ذلك ... والله اعلم

عبد اللطيف شراره

مشكلات الصناعات الغربية في الشرق

بقلم الدكتور محمد يحيى الهاشمي

ان من اهم المشكلات في العصر الحاضر في الشرق هي مشكلات الصناعات الغربية ، التي جوبت كل امة منه على حلها ، ومن الغريب ان نرى المصادر الاوربية في هذا الصدد غزيرة بينما العربية منهـا ضئيلة جداً للصناعات الغربية المسماة بالتكنيك خطورة عظيمة في مجرى الحياة البشرية ، وتأثير خاص على امم الشرق ، فهي التي ايقظت الشعوب الراقدة في آسيا وافريقيا من احلامها الصوفية ، فنقلتها من علوسمائها الخيالي الى ارض الواقعية الاليم .

شاهد الشرقي بام عينه سر تفوق العالم الغربي عليه ، فاتخذ لذلك مواقف شتى من رفض قطعي الى قبول تام الى حيـادية امام هذه القضية الهامة . هذا وان اضطر من رفض الصناعات الى التمتع بمرافقها ، ولكنه كان في الوقت نفسه ينكرها باطنياً نكراناً تاماً . قد يظن اني قد غلوت في الامر ، ولكن اذا امعنا النظر لاثبتنـا ان عهد تسمية السيارة او القاطرة او الدراجة او كل شيء يسير دون قوة انسانية او حيوانية ، بـ « عربية شيطانية » ليس عنـا ببعيد . حتى ان هناك بعض الجدات تقص لنا نقلاً عن امهاتهن وآبائهن اننا متى رأينا عربة تمشي لنفسها فلنتأكد ان الدنيا على وشك الانتهاء . نحن نهزأ اليوم من هذه الخرافات ، بيد اننا اذا ولجنـا في اعماق انفسنا لوجدنا ان لنـا نحن الشرقيين نظرة خاصة للطبيعة مرفقة باجلال وتقديس ، قد ورثناها عن الاجيال السالفة ، فالعقيدة الدينية التي نبتت من ارض الشرق ، يرافقها نزعة واعتبار في الخليقة وقواها التي هي من صنع الرحمن الرحيم ، وهذه النزعة هي اسباب رفض الآلة في الشرق ، لقد تبدل الوضع اليوم في البـلاد الشرقية لان الآلة فتحت لها طريقها وادركنا حسناتها ، ولم يكن الشرقي القديم على ضلال تام في رفضه للآلة العصرية لانه بجانب حسناتها فلهـا من المساوىء او من صنع الشيطان الشيء الكثير . فحسناتها ناجمة من تسهيل مرافق الحياة وتقليل الجهد البشري ، وتذليل المصاعب في عالم الصناعة ، وتقريب الممالك الى بعضها بعضاً . اما السيئات في فقدان قدسية الطبيعة ، لان النظرة الفنية تتلاشى امام السيطرة الميكانيكية ، فالريح تحدث قوة خاصة في تسيير الالات ، وهدير الماء يستغل للمشروع الفلاني ، فلا وقت عندنا لنشاهد السماء وزرقتها ولا الجنان وخضرتها ، لان نظرتنا الى العالم يرافقها شيء من النفعية التي تحط من الكرامة البشرية . فنحن لا نصغي الى الطبيعة لنتصل بذلك السر الابدي الذي حارت عقول البشر فيه ، وانما نفعل ذلك حباً في تسخير الطبيعة وقهرها وجعلها تحت سيطرتنا وفي هذا الاتجاه غرور للانسان عظيم ، فضلاً عن الاضرار التي تحصل من اجتماع عدد كبير من الناس في جو فاسد ، وبقاء نفر تحت الارض يخرج الفحم والمعادن الى خارجها يصل ليله بليله لا يعرف النهار ابداً ، عدا عن المعضلة الاقتصادية التي تسببها الآلة العصرية كالمواد الخـام وكثرة الانتاج وايجاد سوق لهذه البضائع المتكدسة والعمال العاطلين بسبب توفير الجهد البشري ثم المدمرات الحربية الهائلة التي تخرج للعالم حاملة الدمار والموت وغير ذلك من الامور . وما المذاهب الاقتصادية في زعمنا على اختلاف مشاربها ومناهجها الا مذاهب تمس قضية الآلية بقليل او كثير ، ولا نبالغ اذا قلنا ان الآلية العصرية كانت ايضاً من جملة العوامل على تكوين هذه المذاهب .

الى حين من الدهر لم يك فيه الشرقي شيئاً مذكوراً ، فبعد ان لعب دوره في الاجيال الماضية ، انتقلت علومه وفنونه وصناعاته بالتدريج الى بلاد الغرب ، وبعد ان نفض الاوربيون عنهم غبار القرون الوسطى اخذوا يبدعون ويبتكرون من تلقاء انفسهم ويشقون طرقاً جديدة في عالم العلوم العصرية ، كان من نتائجها هذا الرقي وهذه الصناعات الحديثة التي هي سر تفوق الغرب علينـا ، ومهما اوتينا من ذكاء ومهما شغلنا انفسنا في بطون الكتب قديمها

وحديثها ، لا مطمع لنا في مجاراة الامم الراقية ما دمنا بعيدين عن تلك العلوم المفيدة ، غير ساعين الى تطبيقها بالعمل ، سواء وافقت مزاجنا او خالفته . وكم نضيع اوقاتنا الثمينة في الجدل الفارغ دون ان نخرج الى ثمرة ، منقسمين الى فرق واحزاب منا من يحبذ المد . الغربية ، ومنا من ينكرها نكراناً باتاً ، غير مدرك ا ... سية علومها العصرية ، وما ينجم عنها من تطبيقات ، ... سر القوة في والاكتشافات الهائلة التي يقف ابن اله ... . وفي تلك الاختراعات ... مدركاً ضعفه وتأخره ، و ... سرق امامها ذاهلاً معجباً متحيراً حائرين قصب اا ... عند ما كنا مالكين ناصية العالم كنا ايضاً اصبحنا ... سبق العالمي في تلك العلوم المادية ، وعندما اهملناها ... في مؤخرة الامم حضارة ورقياً . ويذكر نابغة الشهباء عبد الرحمن الكواكبي في كتابه ام القرى الذي ألفه قبل ثمان واربعين سنة انه اذا تمادى تباعدنا عن هذه العلوم والاستفادة منها مدة خمسين عاماً ، بعدت النسبة بيننا وبين الامم المتمدنة كبعدها بين الانسان وباقي انواع الحيوان .

لا نريد ان نتوسع في البحث على هذه الامور الهامة بل نود الرجوع الى موضوعنا . بالرغم من ان بلادنا لم تتبدل الى بلاد تجاري امم الغرب في سيادة روح الآلية فاننا لنشاهد تسرب شيء كثير من مشاكلها الينا ، فمشكلة العمال تلعب اليوم دوراً كبيراً ، والمشكلة النسائية العصرية المنبعثة عن الآلة ايضاً لضرورة مشاركة المرأة في العمل ، اصبحت ايضاً اليوم من مشاكلنا ، فولوج المرأة معترك الحياة يصبح اليوم في الشرق ذا خطورة كبيرة — نعم ان المشاكل في هذا الصدد لا تشابه مشاكل امم الغرب ، لعدم غزو الآلة العصرية ارضنا الغزو اللازم ، ولكن ذلك على ما يظهر سوف لا يتأخر اكثر من بعد الحرب العالمية الحاضرة ، ان طوعاً او كرهاً على ايدينا او على ايدي غيرنا ، ولعل يقظة شعوب الشرق ، وحلاوة الارباح التي ذاقها نفر من النـاس سوف لا تدع الفرصة تمر من الايدي ، عند ذلك وعند ذلك فقط ندرك ما هي المشاكل الحقيقية للآلة العصرية في ارضنا . علم كثيرون من الغربيين ونفر قليل منا ان بلادنا غير مستثمرة الاستثمار اللازم ، فاذا سلطت عليها الآلة الحديثة ، فالانتاج الهائل الذي يحصل بواسطتها سوف يدر ارباحاً طائلة على اصحاب المشاريع الكبرى ، وفي زعمي كما تفكر الامم المتمدنة الراقية وهي تخوض غمار الحرب ، كيف يلزم ان يكون وضعها بعد ان تضع الحرب اوزارها ، فيجب علينا ان نفكر ايضاً في هذه الامور الحيوية ، لئلا نكون امام حدثان الدهر الذي سوف يقع عما قريب دون تفكير سابق ولا سلاح . سيا وان وضعنا من وجهة الآلية صعب جداً ، لان الغرب حاول حلها تدريجياً وان لم يبت في امرها في الوقت الحاضر ، اما نحن فاننا مضطرون لاخذ موقف حاسم وسريع في ذلك ، فالغرب تدرج في تطوره الصناعي ، اما نحن فاننا لا شك سنأخذ مـا وصل اليه الغربي رأساً ، فهذه السرعة في الابرام ينبغي ان لا تترك فرصة لمفكرينا الخلص تمر . فالحلول يجب ان تكون سريعة لضيق الوقت وحاسمة وموصلة للهدف من جهة اخرى . ولا يخفى مـا يتطلب ذلك من يقظة فكرية هامة ، وجمع للقوى المـادية والمعنوية ، ومتابعة حوادث الايام ومعرفة ما يتطلبه زماننا الحاضر ، مع التعاون التام مع الامم الاخرى . فمشكلتنا اذن هي ليست مشكلة وقتية صغيرة ، بل مشكلة تاريخية يتوقف عليها سير الاجيال المقبلة ، وهي في الوقت نفسه مشكلة عامة لانهـا متعلقة مع امم اخرى ، فلا صناعات حديثة دون ان يكون هناك علاقات مع الامم الاخرى ، كذلك تمشي مشاكل الآلة مع مشاكل الاقتصاد جنباً الى جنب . فالامة التي تنتج اليوم دون ان تعلم لها مصباً لبضائعها سوف تصاب بازمة اقتصادية هامة . واذا اردنا ان نضرب لنا مثلا فاننا نشاهد انتعاشاً في مدينتنا الشهباء حين يؤذن لها في بيع بضائعها في الاسواق الخارجية ، وحين تجد المواد الضرورية لصنوعاتها .

هذا من الوجهة الاقتصادية اما من الوجهـة الاجتماعية ، فقد اومأنا الى حركة العمال والقضية النسائية وغيرها ، ولا تقف هذه العلاقة عند هذا الحد ، بل تتعداها الى عالم السياسة لعلاقات امم الشرق مع بعضها بعضاً من جهة ومع الامم الغربية من جهة اخرى . والاهم من ذلك كله علاقات الآلات الحديثة في الحضارات الشرقية التي تؤمن بقدسية الطبيعة الى درجة متناهية كما مر معنا ، فقبول الآلية يزعزع هذه القدسية . فماذا كان موقف هذه الامم في الماضي والحاضر والمستقبل ؟!

وسنضرب صفحاً عن البلاد التي ضربت رقماً قياسياً في التأخر كالتيبت التي تفسر (كما بينت لنـا مجلة المختار الاميركية كانون الثاني ٤٥) سبب تحطيم طائرات اميركية حلقت فوق مدينتها المحرمة بان هؤلاء الطيارين تجاسروا على ان يعلوا فوق رئيس كهنتهم .

لكي تسهل علينا هذه الدراسة لا بد لنـا من ان نتكلم ولو بصورة موجزة عن بعض الامم التي حاولت ادخال صناعات الغرب وعن موقفها ، وبما ان اليابان هي في طليعة الامم الشرقية في النجاح في هذا المضمار فمن المستحسن ان نبدأ حديثنا عنها :

اليابان

ليست اليابان كما يفهم الكثيرون اول امة شرقية حاولت ادخال الصناعات الغربية في بلادها، بل لقد تقدمتها مصر، ولكن لم يتح للقطر الشقيق ان ينجح نجاحها، فاليابان تلك الامة الاسيوية تمكنت بمدة وجيزة نسبياً ان تنجح نجاحاً باهراً في ادخال صناعات الغرب اليها، ولا نريد ان نحلل اسباب ذلك، او ان نبين العوامل التي لعبت دورها، لان ذلك خارج عن نطاق بحثنا، وفي زعمنا ان امة اليابان توفقت في ادخال الصناعات فقط، دون اي فهم للمدنية الغربية، كذلك داست كثيراً من القيم التي ورثتها عن اسلافها، فاهملت معاني السمو النفسي، غارسة من اجل ذلك بذور البغضاء لها بين من جاورها من الامم. فهي اذن قبلت المدنية الظاهرية فقط لمنافعها المادية، ولكنها لم توآلف بين تلك المدنية الآلية الميكانيكية وبين مثل اعلى تبغي تحقيقه، فرغم نجاحها العظيم، قد فشلت في انسجام صناعات الغرب وحضارتها، فلا نعلم لها رسالة انسانية عامة، وما قولها ان آسيا للاسياويين الا لغرس بذور بغضاء جديدة في العالم. هي تعبد الآلة ولعل عبادتها لها فاقت امم الغرب. انها عالجت المشكلة وحلتها، ولكن من اجل نفسها لا من اجل العالم، وما مثلها الا كمثل طبيب اتى ليداوي مريضاً فلما اعيته الحيل في شفائه جعل في اذانه وقراً عن سماع انينه وشكواه، او كمثل من قتل هذا المريض بمنتهى القساوة ظناً منه انه قد خلصه من مرضه العضال. فقتل الشيء ليس معناه حله. واذا جاز لنا ان نتخذ اليابان مثلاً حياً لمن يريد ان يقتبس عن غيره بسرعة البرق وبنجاح باهر، فلا يصح لنا ان نتخذها كنموذج في حل هذه المشكلة المعقدة، لانها بروحها تود ان تتباعد عن البشر، زاعمة انهم اعداؤها، يدلنا على ذلك حب انتحار الاسرى وعدم التسليم. فاذا امتزج البغضاء مع الآلية العصرية كان شر ذلك مستطيراً. في تقليد اليابان التقليد الاعمى تجاري امم الغرب في صناعاتهم الحديثة، ولكن تخلق لنا اعداء كثيرين نحن بغنى عنهم، وقديماً قالت الحكماء «لأن يكون لك عدو واحد فذلك كثير، ولكن اذا كان لك الف صديق فذلك قليل».

الصين

ان المناسبات في الصين تختلف عنها في اليابان، وعلى ما يظهر ان في الصين تيارات عديدة تجاه قضايا الالات الغربية، وبهذا فقط يمكننا ان نفسر التقارير المختلفة والمتناقضة التي ترد الينا منها. ولعل بلاد الصين من اشد بلاد العالم محافظة، من اجل ذلك كانت المقابلة مع صناعات الغرب شديدة الوطأة على النفس الصينية، فالتواتر في تلك الارض النائية عنا قيمة كبرى، ويحتاج الصيني الى جهود جبارة ليتحرر من ميراثه او يبدل عادة من عاداته. فلدى التدقيق نجد حضارة القرون الاولى متتابعة في هذه الارض، ولا اظن ان هناك ارضاً غيرها تجاريها في ذلك. وما يظنه بعض الكتاب من ان الصين الحديثة قطعت العلاقات مع الماضي بسبب ولوج المدنية الغربية الى ربوعها، لا يمكننا ان نعممه على جميع تيارات هذه المملكة الضخمة. ومن زعم غير ذلك فقد عرف تياراً واحداً فقط، ولم تمكنه بصيرته من رؤية باقي التيارات المختلفة. تتمخض الصين اليوم عن مولود جديد، لا ندري كيف سيكون ولا اي مستقبل ينتظره، ان اكثر الاحكام التي نقرأها بعيدة عن الواقع، لجهل الغربيين اللغة الصينية، وانه لمن الصعب جداً ان نأخذ حكماً قطعياً عن هذه القطعة الشاسعة من الارض من سائح اقام فيها مدة يسيرة، حتى انه لمن الصعب معرفة خصائص هذا الشعب — او بالاحرى هذه الشعوب — من الغريب المقيم فيها، لان الصيني لا يبوح بسره للغريب وان ذلك فيه طبعاً لا تعلماً، وانك لتقرأ دوماً كما كنا نشاهد من كثيرين من رفاقنا الصينيين في الغرب ابتسامة صفراوية على وتيرة واحدة في السراء والضراء، في الفرح والحزن في الحب والبغضاء. واذا قال لنا مفكر كبير كشبنغلر في كتابه الشهير سقوط الغرب ان الصيني يرفض بطبعه السرعة التي تقتضيها الالات، ورأينا مبرراً لذلك من تدقيق بعض المنتمين الى تلك البلاد ادركنا التضارب العظيم بين نفسية الصيني ومقتضيات الالة الحديثة. بيد اننا نشاهد سجية اخرى عند الصيني تجعله يتقبل الآلة بصدر رحب عرف الصيني فن الحياة الوادع الامين بصورة هائلة، وهذا المبدأ جعله يتقبل صعوبات الحياة بصدر رحب لا يطير شعاعاً عند المصيبة، فشعارهم كما اعلمنا بذلك احد كتاب مجلة المختار الاميركية: «ان هذا العارض لا يلبث ان يزول»، وعندئذ كما يزعم هذا الكاتب تنقشع ظلمة الهموم الكثيفة، ومع ان ظاهر هذا الشعار يناقض روح الالية التي تتطلب الجري وراء الالات، شاء الانسان او ابى، لان الالة تشتغل وتجبر الانسان على الاشتغال لا تدع له وقتاً للتفكير الهادىء الرزين، بيد ان في تعاليم الصين القديمة كالكونفوشيوسية واللاوتسية بذوراً للاندماج مع العالم والتفاهم معه، فمفهوم التاو او الطريق عندهم معناه انسجام مع

عـــابران

◆

علي محمد شلق

الكوره

لمحات ، ينجلي الكوكب في الدرب العتيق
مل هذا النور ، ما بين غروب وشروق
والمدى الموصول في وحشة ملهوف غريق
راعش الاوهـام ، في مقلته ومض حريق

*

قم ، فذي ارجوحة الاقدار تلهو يا رفيقي
قبل ان يلحقنـا بالشك روّاد الطريق
قد هبطنـا من وراء الارض من ليل سحيق
موجه يرزم للآباد في زور وضيق

*

رائدان التبسا لم يعرفـا رغم الفروق
قم بنا ، غصت بيَ النار ، وفاضت في عروقي
علّ ان تطوينـا الظلمة في واد مُحيق
يا صديقي قم فلم اعرف طريقاً يا صديقي

المحيط الخارجي . زيادة على ذلك فابن الحضارة الصينية الحقيقي لا يعرف تعصباً ولا كرهاً قلبيـاً للغير ، قائماً على مبدأ من المبادىء التي تخضع اليها النفس بكليتها .

ان مشكلة الصناعات في الصين لاتزال عظيمة من وجهتين : اولا لعدم تغلغل الاستثمار الصناعي بالمعنى الحديث في ارض الصين ، وثانياً في معضلة المناقشة بينها وبين حضارتها العريقة في القدم لان الصين كما يظهر تضن على نفسها قبولهـا المدنية الغربية قبولا تاماً واطئة بقدميها قيما روحية ورثتها من الاجيال كانت لها خير سند في تقوية معنوياتها وفي راحة ضميرها اما بعد ولوج الالية الى ربوعها الولوج الكافي فيتجلى لنـا كما يذكر لنا خبير دون لنـا مطالعاته ، في الزراعة الابتدائية ، وفي قلة الغـابات ، وعدم الاستفادة من القوى المائية التي تذهب ضياعاً ، ولعدم ضبطهـا الفيضانات وتسخيرها في مصالحها ، فضلا عن ذلك فالخطوط الحديدية فيها قليلة وهي متباعدة عن بعضها بعضاً ، والمجاعات لا تزال تنتشر فيها في كل بضع سنين لعدم معرفة استثمار ارضها وتوزيع غلالها على السكان ، وهذه الكارثات المؤلمة تفتك بهـا فتكاً ذريعاً ، اما الوجهة الثانية من قضيتها فنستدل على عدم اقرارها على شيء انقسامها الى احزاب وشيع ، حتى انهـا كما يقال لم تتحد الا على مقاومة اليابانيين . نعم استطاع شيان كاي شك ان يوجد هدنة مع الصينيين الشيوعيين ، ولكن لا يدري احد مدة دوامها وهل ستطول الى مابعد الحرب ام لا . ولقد احسن الرئيس روزفلت صنعاً في تصريحه بلزوم معاملة الصين بالحسنى لازالة البغضاء والشحناء بين الشعوب البيض والشعوب الملونة . ويضيق المجال للكلام عن الصين ، لان قضاياها لا تزال حرجة لم تنته بعد ، ويعلق على كيفية حلها اهمية كبيرة لا من اجل هذه البلاد الشاسعة بل من اجل العلاقة بينهـا وبين امم الغرب ، فهي بحاجة للتعاون مع امم الغرب للرقي الصناعي والغرب ايضاً بحاجة للتعاون معها للحصول على المواد الخام من ارضها وترويج بعض بضاعاته فيها .

وفي العدد القادم نتحدث عن بقية الامم الشرقية التي حاولت ادخال صناعات الغرب وعن موقفهـا ، مثل الهند وتركيا وايران والبلاد العربية .

حلب محمد يحيى الهاشمي

عـــــودة الى الارض

بقلم رشاد المغربي دارغوث

✱



النهضة الصناعية الكبرى التي بعثها في اوروبا تطور العلم ، وما تمخضت عنه جهود العلماء من اكتشافات قلبت وجه الحياة ، حملت الناس هناك في القرنين المنصرمين على هجرة الحقل الى المصنع والقرية الى المدينة ، زرافات وآلافاً ، حتى خشي في حين من الدهر ان تقفر المزارع ويموت الناس جوعاً .

والواقع ان شيئاً من ذلك لم يحدث في اوروبا ، واستمر العمال في هجرتهم الارض الى المصانع والمعامل ، واستمرت المدن في نموها وسط جوها الخانق ، وتابع دولاب الحياة دورانه في الاتجاه الذي استنه التطور وطبيعة الحضارة الراهنة ، ولم يمت واحد من الناس جوعاً . وقد يكون من الحق ان نذكر جهود الحكومات لوقف ذلك التيار وخاصة الحكومة البريطانية وما اصدرته من قوانين تشريعية ترغيباً للمزارعين والفلاحين في الاستقرار في قراهم ومزارعهم . كما ان من الحق ان نقول ان تلك الجهود لم تؤد الى تحقيق النتائج المرجوة كلها وان كانت لم تذهب عبثاً .

فالحضارة الحديثة بطبيعتها حضارة مادية تقوم على الصناعة العلمية ، وتطبع بالتالي كل كائن حي بطابعها المادي .

الا ان هنالك امراً راهناً هو اختلاف وضعنا واستعداد بلادنا عن وضع تلك الدول واستعداداتها .

فنحن امة لم تبلغ فيها الصناعة منزلة تستعيض بها عن تأخر زراعتها . او لنقل اننا امة لن يمكننا مزاحمة احد في صعيد الصناعة، ما دامت استعدادات بلادنا لا تؤاتي على رقي الصناعة الى حد نزاحم بمنتوجاتنا الاخرين .

ونحن دولة لا موارد لها من خارج حدودها ، الا ما تبتاعه باموالها . وعلى هذا كان من حق البلاد علينا ومن واجبنا ان نستغل ما تتيحه لنا ظروفنا وطبيعة هذه البلاد من موارد الثروة . وهل لنا غير مورد الزراعة وما ينبثق منها ؟

فنحن في قطر حديث التكوين جيولوجياً . فهو بالنتيجة خلو من المعادن ، او ان كميات المعادن فيه ضئيلة لدرجة بعيدة ، بحيث يكلف استخراجها اضعاف اثمانها ، فيما لو بيعت في الاسواق العالمية في الظروف العادية . واليد العاملة عندنا اقل من ان تبيح لنا تعدين هذه الكنوز المخبوءة على ضآلتها .

ثم نجد من جهة ثانية اننا لا نملك من الفحم الحجري ، او ما يسمونه خبز الصناعة ، لا قليلاً ولا كثيراً . فكيف السبيل الى ازدهار الصناعة الكبرى في البلاد ، وهي لا تملك موادها الاولية الا النذر القليل ؟

فقضية الهجرة من القرية الى المدينة في بلادنا الناشئة ليست اذن وليدة هذه العوامل العامة التي حملت الخلق في اوروبا على هجران الحقل الى المصنع .

انها قضية محلية خاصة نجد بواعثها فيما اسلفنا ذكره من رغبة الناس في اسباب الحياة الحضرية ، وتزاحمهم على معاهد العلم ، وتدافعهم في سبيل الوظيفة، وترفعهم عن العمل في الارض بعد ان نالوا قسطاً من الثقافة . وهي اسباب كما ترى آخذ بعضها برقاب بعض في سلسلة واحدة . وان مداواة هذه العلل جميعها ممكنة بتشريع يصدر ، ودون تشريع ، اذا حسنت النيات واقتنع الرأي العام بخطورة المصير وحراجته .

ان اسباب الحضارة المادية لا تتوفر في قرانا . وما برح الفلاح وعيلته والمزارع الصغير واسرته ، في بعض البيئات الزراعية عندنا، يشاطرون الماشية سكنى غرفة كالحظيرة ، ويجففون على جدرانها الخارجية فضلات تلك الحيوانات ، ليتخذوا منها وقوداً ابان الشتاء.

وفصل الامطار والزوابع والبرد .

هذا العامل ، وخاصة اولاده الذين اقاموا في المدينة المجاورة او ذهبوا الى القصبة القريبة ، طوال سنين يطلبون العلم ويقرأون في كتبه ما صارت اليه حالة العمال في المدن ورفاهية العيش فيها ، ووفرة الارباح وما يصيبه الصانع من نجاح والموظف من منزلة ونفوذ — هؤلاء الذين يلتفتون فيرون مستواهم الاجتماعي والصحي والاقتصادي دون ما تطمح اليه نفوسهم المستيقظة ، وقلوبهم الشاعرة ، وعقولهم المستنيرة ، انما يخجلون من انفسهم ومن آبائهم ومن بيئتهم ، فيودعون هؤلاء جميعاً الى رحاب المدينة واجوائها البراقة ونعيمها الموهوم .

وماذا ينتظرهم في المدينة ؟ بل ماذا تود ان يعملوا فيها ومصانع مدننا اضيق من ان تتسع لهؤلاء ومن يعمل فيها من ابنائها . ونطاق عملها اشد ضيقاً ورؤوس اموالها اضعف من ان تحتمل التوسع المرغوب فيه ، واسواقها محدودة محصورة .

ان هؤلاء الفارين من القرية فرار البائس من سجن والبائس من جوع يجدون في المدينة ابواب الاعمال الحقيرة وغير المنتجة مفتوحة على مصراعيها فيلجونها — ويزداد بهم عدد بائعي الجرائد والحمالين ، وماسحي الاحذية ومن اليهم ، كما يزداد بهم عدد الفقراء والبؤساء ، وبؤر الامراض والاوبئة ، ومراتع الجهل والاجرام .

او يجدون ابواب الاستخدام والتوظف (مشقوقة) من هنا او من هناك ، فيستقر السعيد منهم مستخدماً في متجر او شركة ، ويتربع صاحب الحظ الاكبر في وظيفة حاجب او كاتب !

هؤلاء من السهل جداً ان تعمل الامة للحيلولة بينهم وبين هجرة الارض ، وهم جميعهم من ابناء الفلاحين الاشداء ومن ذوي السواعد القوية والفطنة والذكاء .

ان مدرسة القرية تؤدي في هذه الناحية خدمة كبرى للقضية . ولكن تأثيرها يظل محدوداً بنسبة استقرار الناشيء فيها كما يعود سعيها عبثاً اذا لم ندعمه بمساع اخرى وتنظيم صحيح متماسك الحلقات فالمرء ابن بيئته وابن المجتمع . والمدرسة القروية احدى وسائل المجتمع لتربية الناشئين واعدادهم للحياة . ولكنها ليست كل وسيلة ممكنة . فهناك سائر ما بمقدور الحكومات والجمعيات والافراد بذله في هذا السبيل .

ولعل في توزع المدارس والكليات على شتى انحاء البلاد اللبنانية تكميلاً لعمل المدرسة القروية . ثم لعل في صبغ التعليم في تلك المدارس بصبغة البيئة التي تعمل فيها توجيهاً للشباب يتمم تربية الناشئين في المدارس القروية وسائر المدارس الابتدائية . فلا يصل الشاب الى دراسته حتى يكون قد اختار الاتجاه الذي يتفق وميوله واستعداداته ، وما استشعره من حاجة بيئته ، وما اعتقده من مصلحة بلاده وقدرتها على الاستيعاب ، وظروف حياتها الراهنة ومستقبلها القريب والبعيد .

ثم ان في وقف التوظيف ردعاً وزجراً لا تخفى فوائده . اذ يضطر ذلك الكثيرين الى البحث عن ابواب للرزق الحلال غير هذا الباب . او يحمل الكثيرين على العزوف منذ البدء عن التفكير بهذا الغرض ، بعد قطع املهم منه ، فلا يبيع احدهم ما يملك في سبيل الحصول على شهادة تؤهله لوظيفة مهما ارتفع راتبها واتسع نفوذها . بل يستبقي قطعة الارض ليعمل فيها او يشرف على العاملين فيها ، وينشيء في تلك المزرعة الصغيرة ، بعد ان يدخلها العلم بوسائله وطرقه ، مملكة صغيرة لا ينحط عرشها عن عرش الوظيفة او الاستخدام .

فهنا قمح مزروع يقيته ويقيت عيلته وسائر افراد مزرعته ، وهناك ماشية تتم بما تدره تغذية هذه المملكة الصغيرة ، وهناك اشجار وخضار تغنيهم عن كل دواء وطبيب . وفي ناحية اخرى مصنع صغير يتحف بالفائض من الغلال وما ينبثق منها اهل المدينة وغيرهم . ويعيش ذلك الذي كانت احلامه تقف عند راتب شهري يقبضه ، وعمل محدود يكرهه ، يعيش هذا المزارع المثقف سلطاناً في ارضه ، رجلاً في قومه ، عزيزاً في نفسه ، جواداً في بلده وعضواً عاملاً نافعاً للامة باسرها .

ترى هل من عقبة تصطدم بها هذه المشاريع سوى عقبة واحدة هي الارادة والثبات ؟

انني اعتقد ان الارادة لا تعوزنا افراداً وشعباً وحكومة . وارى ان الثبات مستقر في جذور نفوسنا . وليس ما يحول دون ابرازه الى حيز الواقع ، ونحن من امة عريقة كان لها منذ فجر التاريخ امجاد تباهي بمثلها الامم .

رشاد المغربي دارغوث



للشاعر الانكليزي « وردسورث »

جاءت من مكان بعيد ، رأسها عار
وقد احرقت الشمس شعرها الفاحم .
عيناها متأججتان ، وعلى حاجبيهـا
ذرات من الغبار !
كان على ذراعها طفل صغير ، وكانت
تسير بين اكوام القش الدافئة او على صخور
الغابة الخضراء ، تتمتم وتغني بالانكليزية :
« طفلي الوديع العذب : لقد قالوا انني
مجنونة .. ولكن لا ... ان قلبي يطفح هناء ..
انني اشعر بان روح السعادة تغمر آلامي واحزاني عندما اغني .
فلا تخف يا طفلي الحبيب ! اتوسل اليك ان لا تخاف مني !
اطمئن ، اطمئن كما لو كنت في مهدك .
ستكون لي . لي وحدي ، انا التي استحقك
لن اجلب لك الهم والويل ... يا طفلي !..

*

كانت نيران الغضب تضطرم مرة في عقلي . وفي رأسي ألم
عنيف مر ! وثلاثة وجوه جهنمية معلقة في صدري
واذا بمنظر جذاب مفرح يبدو لي فجأة .
ونهضت فرأيت طفلي الصغير . وافرحتاه !
انك هنا .. وحدك .. يا طفلي !..

*

ارضع ، ارضع ايها الطفل الصغير
شفتاك تبردان دمي الفائر ، تبردان عقلي الملتهب !
اسحب الالم من اعماق قلبي .. وعانقني بيديك الصغيرتين ،
فانهما تحلان شيئاً من تلك الحزم المميتة المشدودة في صدري
انني اشعر بلمسات اصابعك كالنسيم البارد الذي يهب فيبعث
بي نشوة منعشة ! أجبني ... أجبني يا طفلي الصغير
انك المصدر الوحيد لهناء امك .
لا تخف الامواج الغضوبة عندما نسير على الصخور البحرية !
فالصخور الشاهقة المخيفة ، والتيارات الصخابة الهائلة لا تستطيع
ان تؤذيني ما دام طفلي على ذراعي ! انه ينقذ روحي الغالية ..
نم .. نم نوماً هانئاً .
انك لا تستطيع الحياة ابداً بدون امك . يا طفلي !..

*

لا تخف يا عزيزي الصغير
سأكون قائدتك في شجاعة اللبوءة
فوق الجبال الثلجية ، وفي الانهار الواسعة .
وسأبني لك خيمة هندية فانني اعرف
اوراق الفراش الناعم
واذا بقيت عندي — اجمل شيء في
حياتي — ولم تذهب بعيداً عني فانك ستغني
كما تغني عصافير الربيع .
ابوك الجائر : لم يحفل بقلبي ! انه لك ،
تسكن فيه مطمئناً يا حبيبي . واذا كانت نعومته قد تغيرت ..
فان منظره جميل ، انه جميل جداً لك ايها الطائر !
طفلي الصغير : لقد ولى جمالي ! ولكنك ستعيش معي في حب
الى الابد . وماذا يهم اذا كان الشحوب قد علا وجنتي الحزينتين ؟!
لا تخف مني .. يا حياتي . انني زوجة والدك
وفي ظلال تلك الشجرة المتسعة سنعيش بشرف وسعادة ...
يا طفلي !..

*

لقد هجر طفله الصغير الجميل . وان يعيش معي ابداً بعد
وسيظل طفلي في مأمن من شره ! يا له من مسكين تعس !
يجب ان نصلي له كل يوم .. فقد راح بعيداً .. بعيداً !
سأعلم طفلي اعذب الاشياء واجملها . سأعلمه كيف تهدل الحمائم
طفلي الصغير : ما زالت شفتاك تمصان ثديي الممتلئين فالى اين
انت ذاهب ؟!
... ما هذه النظرات الخبيثة التي اراها ؟!
ويلاه !! انها نظرات وحشية متأججة ! انهـا ليست مني ..
ليست مني ابداً ! آه اذا كنت مجنوناً !
فسأظل شقية معذبة الى الابد يا طفلي !..

*

آه ! أتضحك علي ايها الحمل الوديع ؟ ألانني امك الغالية التي
لم يخلق الحب في قلبها الا ليكون لك ؟!
لقد فتشت عن ابيك في الاماكن النائية الواسعة !
انني اعرف الاعشاب السامة .. واعرف النباتات المفيدة
فلا تخف يا طفلي الجميل ! اننا سنجد اباك هنالك في الغابة
اضحك وابتهج للغابة البعيدة حيث سنعيش — الى الابد —
يا طفلي !..

بغداد — مرتضى شراره

الانحـــلال النفـــسي

بقلم ابو مدين الشافعي

ماجستير في علم النفس من جامعة فؤاد الاول

يمكن لكل شخص ان يكوّن فكرة – ولو كانت ناقصة – عن الانحلال النفسي الذي يعترينا في كثير من الاحيان . ولا يعتبر الانحلال النفسي حالة مرضية ، الا اذا لازم الشخص مدة طويلة من الزمن تكفي لترك عادات نفسية وجسمية ثابتة ، راسخة ، يصعب على الشخص مقاومتها ، ويشعر امامها بضعف ، فتسيطر عليه ، ويصير مسيراً في سلوكه : يعمل ما لا يريد ، ويريد فلا ينفذ ما يريد – واحوال الانحلال النفسي الخفيفة التي تمر بسرعة دون ان تترك آثاراً كثيرة تظهر دائماً في وقت التعب الجسمي ، او الانفعال النفسي . نشعر كلنا عند التعب بعدم مبالاة وفتور نحو ما كان يهمنا ويحركنا ، ويبعث نشاط العمل فينا . ولذلك يميل بعض الناس الى استغلال نشاطهم في الصباح بعد راحة النوم – وكذلك الانفعالات السريعة مثل الغضب الذي قد يغير رأينا في الاقدام على شيء . وقد يبعثنا على ارتكاب ما كنا حرمناه على انفسنا فنتلاشى المراقبة على الفعل ، ويضعف الضبط وما يسميه علماء النفس كفا Inhibition

ولا يمكننا ان نفهم الانحـلال النفسي المرضي الا اذا فهمنا الانحلال النفسي العرضي –، ونجد انفسنا في حاجة الى ذكر بعض الامثلة للانحلال النفسي تظهر في حالات شائعة – يشعر بعض التلاميذ والطلاب في آخر الدرس بافكار تبدو لهم غريبة ، اذ يرون ان هذه الافكار تدعوهم الى القيام بعمل عبث ، او عمل مضر لهم ، او لغيرهم ، ويلاحظون ان هذه الافكار لا تتفق قط مع المنطق السليم والسلوك المفروض . كأن يشعر الطالب بحـاجته الى القاء القلم او الكتاب في وجه المعلم او القاءه من الشباك القريب . وكثيراً ما تكبت هذه الافكار وتوقف الافعال الشاذة التي تأمر بها هذه الافكار الغريبة ولكن بعض الاطفـال لا يستطيعون كبتها وينفذون افعالا غريبة لا نفهم الداعي لها والدافع الذي دفع الطفل على ارتكابها كأن يلقي التلميذ الحبر بواسطة القلم على ملابس زميل له يوليه ظهره – ونبادر بمعاقبة الطفل دون ان نسأل عن الظروف التي احدثت الفعل .

وقد ذكر الدكتور جورج درساس ان امرأة جاءته ، ووضعت ابنها بين يديه قائلة : ارجوك يا دكتور ان تنقذني من فكرة غريبة تأتيني وتأمرني بقتل ابني . » كما ان الكثيرين من الشبان الذين اضعفهم الاضطراب الناشيء عن المراهقة يجدون في انفسهم رغبة القاء انفسهم من النافذة او اي مكان مرتفع يوجدون فيه . وهكذا قد تتكرر على اشخاص افكار يشعرون بغرابتها وتنافيها مع العقل السليم والواجب .

قد يكون الانحلال النفسي في الغالب عبارة عن تضارب بين الارادة والفعل : يريد الشخص القيام بافعال غريبة ، بعيدة التحقيق او يقوم بافعال لا يريدها . ونرى ان هذه الحالة الاخيرة هي اخطر الحالتين لانها قد تؤدي الى الجنون الذي هو تلاشي المراقبة والضبط . ونستطيع فهم حالة الجنون النفسية بواسطة تأمل حالاتنا الشاذة في الانفعالات المختلفة : كانفعال الغضب الذي نقوم فيه بافعـال لا نريدها ، كما اننـا في حالات الحب الشديد نفقد السيطرة على انفسنا ، ونقوم باعمال قد نندم عليها فيما بعد : اذا استثنينا حب الام لاولادها الذي لا يفتر ، ولا يمكن الام من الندم على اية تضحية ضحت بها في سبيل ابنها .

لا شك ان كلاً منا لاحظ نفسه يهذي عندما يكون متشوقاً الى الحصول على شيء يشعر انه محروم منه . ونجد امثلة كثيرة لذلك في حديث الشبان وغير المتزوجين عامة عن المرأة ، وحديث الموظفين عن الدرجات والتنقلات . ولا ينكر احد ان مثل هذه الحالات النفسية كانت دائماً المحرك القوي للآداب ، فالاديب المحروم من شيء المنفعل لحرمانه ينتج انتاجاً قوياً اذا كان الاديب صريحاً في وصف حالاته النفسية وقد لاحظ ذلك (الفريد دي فيني) عندما قال : « ان الذي ينقص الآداب هو الصراحة » .

وقسم الفريد دي فيني الادباء الى ثلاثة اصناف في مقدمته لروايته Chatterton التي اعطاها كعنوان : « آخر ليلة للعمل » ونستطيع تسمية الصنف الاول : رجل الآداب L'homme de

Lettres وهو الاديب المحترف الذي جمع ثروة كبيرة من اللغة واستطاع ان يتصور كل الحالات الانفعالية الممكنة ، وعرف كيف يجمع الكلمات لتصويرها الى الغير ، وهو كما قال عنه دي فيني « يصعد من النحو الى التأليف عوضاً عن ان ينزل من الالهام الى الاسلوب »(١) واما الصنف الثاني وهو (الكاتب الكبير) هو العالم المتين الذي له نفس قوية تدعوه الى مراقبة نفسه ، فيقول ما يوافق الواقع ، وما يتلاءم مع المجتمع : فهو خاضع الى الفكر القائم على انتباه شديد وذاكرة غنية ، في قلبه ثورات كبيرة واحقاد شديدة ونبيلة ، تحطمه في خفاء ، ولكن عقله المستقيم يسيطر عليها ويخفيها وبعد كل فانه يخطو الخطوة التي يريدها ، ويعرف كيف يبذر البذور في عمق كبير ، وينتظرها حتى تنبت في سكون مخيف ، فهو سيد نفسه ، سيد نفوس كثيرة يقودها من الشمال الى الجنوب حسب ارادته ، فهو قابض على زمام شعب . والفكرة المكونة عنه تدفعه الى احترام نفسه وتلزمه مراقبة حياته . وهذا هو الكاتب الكبير الحقيقي(٢)

واما الصنف الثالث وهو الذي يهمنا بالذات هو مثال الانحلال النفسي وقد اجاد الفريد دي فيني في وصفه لانه كان مصاباً به ككل شعراء القرن التاسع عشر الاحرار (Les romantiques) وقد ظهرت هذه الحالة اول ماظهرت في فرنسا على يد جان جاك روسو الذي كان مصاباً بخلل نفسي منذ الولادة ، فكان يميل الى الرجوع الى نفسه ، والابتعاد عن العالم الخارجي ، وكان يحاول التجرد من الحواس الخارجية ليكتفي بحس داخلي واحد ، وهو الحاسية الحشوية فيكون الشعور بالوجود متوقفاً على حس واحد ، فاذا غاب غاب الشخص عن شعوره بالوجود ، وذلك ما شعر به روسو ، وعبر عنه في مقالته : احلام اليقظة لمتجول وحيد » ونذكر له جملتين تدلان دلالة واضحة على حالة الانحلال النفسي المرضي : عندما كان يأتي المساء كنت انزل من اعالي الجزيرة واميل الى الجلوس على شاطئ البحيرة ، على الرمل في اي مأوى منزو ، وهناك فان اصوات الامواج وهدير الماء كانت تثبت حواسي ، وتطرد من نفسي كل اضطراب ، وكانت تغمرها في حلم لذيذ . ومراراً فاجأني الليل دون ان اشعر ، وقد كان مد هذا الماء وجزره ، وصوته المتصل المتضخم في فترات ، يقرع – بدون انقطاع – سمعي وبصري ، وكانت تقوم مقام الحركات الداخلية (اي الافكار والعواطف) التي كانت احلام اليقظة توقفها فيّ .

(1) A. De Vigny. Chatterton. Hachette 85, p. 12
(2) » » » » » p. 13

وكانت تكفي لتجعلني اشعر بوجودي ، شعوراً لذيذاً ، دون ان اتحمل عبء التفكير . » فهذا الاتجاه في الادب اعطى لبعض الادباء فرصة الرجوع الى انفسهم ليعبروا بكل صراحة عن احوالهم وكسب علم النفس كثيراً بهذا الاتجاه .

وكانت دقة روسو في وصف الحالات النفسية باعثاً على ظهور طائفة من الادباء اقتدوا به ، وسلكوا سلوكه ، وقدموا الينا صوراً حية لحياتهم الداخلية – وساعدت الازمات الاجتماعية من سياسية واقتصادية على ايجاد جو خاص من البطالة والفقر والحرمان ، فتذمر الكثير من المثقفين وضجوا من حالهم ، وملوا بيئتهم ، ومالوا الى الفرار والخروج الى ناحية بعيدة ، مجهولة ، فيها الحياة ، وفيها العمل . ورواية Chatterton تمثل كرواية Stello هذا التعطش الى تقدير الشاعر الذي زاده الله بسطة في الشعور والاحساس ، وجعلته دقة ادراكه ورقة جسمه ينفر من الازدحام على الوظائف ، والتسابق اليها بشتى الوسائل المنافية للكرامة الانسانية – فكل هذه العوامل النفسية – الاجتماعية المضافة الى العوامل الجسمية الناشئة من الجوع ، وسوء الغذاء ، خلقت طائفة من الاشخاص اصيبوا بالانحلال النفسي – وهؤلاء هم الشعراء الذين يدافع عنهم الفريد دي فيني في شتى مواقفه ، ويقول عن الشاعر في مقدمته لشاترتون ، وهو الصنف الثالث من الاصناف التي وصفها : « يولد الانفعال معه عميقاً فيه ، وخاصاً به بحيث انه يلقي به منذ الطفولة في حالات من التجلي لا ارادية وفي احلام متصلة ، وفي اكتشافات عديدة – وقبل كل شيء . فان التخيل يسيطر عليه »(١) ويقول بعد ذلك في وصفه للشاعر او في وصفه لنفسه : « فان احساسه يصير شديداً جداً ، وما يمر على الغير مراً خفيفاً فانه يجرحه جرحاً بليغاً ، وتعلقاته وحالات عطفه في حياته منهكة وغير منسجمة . وحالات ولعه الشديدة تضيعه ، وحالات تعاطفه مسرفة في الاخلاص والذين يتألم لهم يتألمون اقل منه ، ويفنى من اجل آلام الغير ، وتلقى به حالات الاشمئزاز والاساءات وتعنت المجتمع الانساني في شعور بالتخاذل العميق وشعور بالحرمان المر وتلقي به في حالات من الندم لا يمكن التغلب عليها ، لانه يفهم كل شيء باكثر ممايلزم من الكمال والعمق ولان عينه تذهب رأساً الى الاسباب التي يأسف عليها او يحتقرها بينما تقف اعين اخرى عند المسبب لتجاربه – وهكذا فانه يسكت ويبتعد ويرجع الى نفسه وينعزل كما لو كان في سجن . وهناك في داخل رأسه المشتعل يتكون وينمو شيء شبيه

(1) A. D. V. chat. 85. p. 14

بالبركان . . .»

لا شك اننا نجد في هذا الوصف كثيراً من الاطناب في وصف الضعف غير ان ذلك لا يمنع هذا الوصف من ان يكون وصفاً صادقاً – ووقف الفريد دي فيني على وصف حالة الشاعر المريض كما هي في الواقع ، ولم يتعرض الى درس الاسباب بطريقة علمية ، واكتفى بقوله ان الشاعر يولد ، ويولد معه انفعال عميق شديد – والحقيقة ان للتربية كل الاهمية في تكوين الشخص ، ونوع الغذاء الروحي يلعب دوراً كبيراً في صحة الشخص النفسية – ويشكو الكثيرون من التربية الفنية والفلسفية ويتهمونها بجعل المقبل عليها يقع في حالة الانحلال النفسي – والحقيقة : ان الانحلال النفسي لا يأتي من الثقافة الفنية او الفلسفية في حد ذاتها وانما يأتي من العزلة التي يوجد فيها الفنان او الفيلسوف بعدما وصل الى ادراك حقائق لطيفة يصعب على من حوله من السواد الاعظم ادراكها. فالانحلال النفسي قد يأتي من اسباب جسمية عندما يقع الجسم في ضعف من جراء ارهاق، او عطب، اومادة تخدير مثل الكحول او الحشيش. وقد يأتي الانحلال النفسي من انعزال الشخص عن مجتمعه لاي سبب من الاسباب – وتجد الشباب المثقف في بلاد الشرق مهدداً كله بالانحلال النفسي لسبب واحد وهو الهوة الواسعة التي تفصل بينه وبين الجمهور . وترى المثقف بالثقافة المتينة يشعر بكل ما كان يشعر به ادباء فرنسا في القرن التاسع عشر . وستخلق لنا الحرب مشاكل عديدة من هذا النوع من المرض النفسي ، اذ ان كثيراً من العمال البسطاء الذين لم تكن لهم اية ثقافة علمية او اجتماعية كونوا ثروات عديدة ستجعلهم يقبلون على تعليم اولادهم تعليماً عالياً غير ان حالة الاب والعائلة ستحافظ على طبائعها الخشنة الاولى وسيلاقي الابناء المثقفون عناء شديداً في ارضاء اهلهم ليسمحوا لهم بالحياة الجديدة – وقد خلقت لنا الحرب الكبرى مشاكل قريبة من هذا النوع. لهذا السبب يجب على الحكومات ان تساعد بكل الوسائل على نشر التعليم العالي حتى لا يبقى المثقفون معرضين الى العزلة ويمكن لكل مثقف ان يجد جواً خاصاً ملائماً له في ناد او جمعية يستطيع الفرار اليها من البيت والمقاهي العامة – ولا بد من ان تبحث الحكومة فيما تبحث عنه من المشاكل الاجتماعية مشكلة المثقفين المادية والنفسية وتساعدهم على حلها ليستطيعوا القيام بواجبهم فبذلك يمكننا ان نقضي على مرض نفسي نسب خطأ الى التعمق في الفن والعلم والفلسفة . .

القاهرة — ابو مدين الشافعي

الاديب

✶

– لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير) .

– تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

في سوريا ولبنان : ١٢ ليرة لبنانية .

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ما يعادلها ترسل حوالة بريدية دولية او حوالة على مصرف في بيروت

– الادارة غير مسؤولة عن الاعداد التي تفقد في البريد

– احتفظت الادارة ببعض اجزاء السنة الاولى والثانية فمن شاء من هذه الاجزاء فليطلبها وثمن الجزء من السنة الاولى ليرتان ومن السنة الثانية ليرة ونصف.

– تدفع الادارة خمس ليرات لبنانية ثمن النسخة الواحدة من الجزء الاول من السنة الاولى ١٩٤٢

وتدفع ليرتين ثمن النسخة الواحدة من الجزء الثالث من السنة الثالثة ١٩٤٤

– المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

✶

ادارة الاديب : شارع الاحرار ، غربي ساحة الدباس

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

سكرتير التحرير : بهيج عثمان

المدير الفني : مختار شملي

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت – لبنان

قبلة الساقي...

قصة

بقلم محمود تيمور بك

— يا ولد يا عبده ...

يا عبده الكلب .. يا ملعون يا نجس ...!

كانت هذه النداءات تصافح اذن «عبده السهتان» وهو متمدد على الدكة الخشبية المحطمة في حجرته القائمة بجوار الباب كأنها لضيقها وحقارتها ركن من اركان الدجاج .. وكانت الساعة لم تكد تبلغ السادسة صباحاً .

ظلت هـذه النداءات تداعب اذنه وهو في حالة بين اليقظة والنوم، فكانت تصل الى موطن السمع من رأسه ، كأنها حديث تلفوني آت من بعيد ، تطغى عليه ضجة صاخبة . فيحسب نفسه يكلم احد رواد الملهى الذي يعمل فيه . وكانت عضلات وجهه تتقلص وتختلج ، وشفتاه تضطربان بغمغمات غامضة ، اذ كان يشعر في حالته تلك بانه هو الذي يصب جام غضبه بذلك الشتم والسباب .

وسرعان مـا انقلب ذلك الحديث التلفوني في حلمه معركة حامية الوطيس في فناء الملهى . فرأى نفسه يصرع المدير بلكمة عنيفة ، ويختطف احدى غيد الملهى المدلهة بحبه .. وفي اثنـاء تلك الرؤيا المضطربة كان يتراءى له بلا رابطة ولا تمهيد بين فترة وفترة وجه عبوس ذو ملامح ثائرة ، ذلك وجه «الحاجة فاطمة» صاحبة المنزل الذي يحتل فيه حجرة البواب .

وازداد الصخب في قوة وعنف ، فاهتز جسم «عبده السهتان» اهتزازاً شديداً، واخذ جفناه يتحركان ، ونهض برأسه وئيداً يتلفت حوله . ففطن الى مكانه من الحجرة يحتل دكته المحطمة . وراح يمسح عن وجهه العرق بكم قفطـانه الابيض — لبوس العمل في الملهى — ورن النداء في هذه اللحظة ، فألفى نفسه يعتدل في دكته سريعاً ويجيب بصوت متحشرج :

حاضر ..

— يا ولد يا عبده .. يا كلب .. يا وخم .. يا غبي يا نجس !

— حاضر .. حاضر ..

وقذف بآخر تثاؤبة من فمه ، وخلع آخر قطية من كتفيه . ونهض مهرولاً بجسمه النحيل الضئيل وقامته القصيرة الى مسكن «الحاجة فاطمة» المقابل لحجرته .

ولم ينس ان يطبع على فمه ابتسامة كريهة ، وصاح : صباح الخير يا ستي الحاجة .

ووقف على خطوتين من البـاب ، فهو يعرف مكانه لا يتعداه ، فليس له ان يبلغ الباب او ان يمد عينيه الى ما وراءه .. ولاح له من جانب البـاب طيف «الحاجة فاطمة» وهي مرتدية البياض على مألوف عادتها، ملثمة بالخمار الابيض ينبسط على صدرها حتى يغطي يديها .

ومعها تقول :

أين كنت يا نجس ؟

ومد يده ليحييها في غير وعي ، ثم ما عتم ان ردها الى جنبه . انه منذ التحق بالبيت شبه بواب ، لم يحدث ان لمست يده يدهـا الملففة ابداً في الخمار الابيض ، خلال السنوات الخمس التي قضاها في خدمة البيت . ولطالما سمعها تقول :

تنح عني .. حاذر ان تنقض وضوئي !

ولما برزت له من جانب الباب سألها : أية خدمة تبغين يا ستي الحاجة ؟ — ألا تعرف عملك يا نجس ؟

وكان على الرغم من تكرار كلمة «نجس» على سمعه واعتياده ان يتلقاها من «الحاجة فاطمة» لا يستطيع لها احتمالاً ، بل يشعر بانهـا ثقيلة الوطأة على نفسه ، فوقف يجمجم :

يا فتاح يا عليم .. كل يوم نجس .. نجس.

—وهل انت الا كلب نجس؟ ما صنعتك؟ ألست خادم مرقص ملوث ؟ خادم موبقات ؟ خادم خمر وتهتك ؟ تقضي اكثر ليلك ساهراً غريقاً في تلك البؤرة الموبوءة فلا تصحو من نومك الا بمعركة .. فرفع صوته قليلاً ، وهو يحدق امامه تحديقاً تائهاً ، وقال :

يا ستي .. هذا نصيبي .. هذا مقسوم لي .. نجس .. قذر ان كان هذا يروقك فانا في خدمتك ، والا فاتركيني وشأني !

وكان مثل هذا الموقف على شدته ، وما يتوقع ان ينجم عنه من حدوث كارثة فاصلة ، ينتهي دائماً الى رضا ووفاق .. فترات صمت .. تراجع من الجانبين .. كلمات عتب ومؤاخذة رفيقة .. تبادل ابتسامات متكلفة .. وانمـا كان ينتهي الموقف الى هذه



النتيجة المسالمة ، لان كلا منها يجد نفسه لا غناء له عن صاحبه ..

كان « عبده السهتان » الموظف الليلي بلهى « نزهة الارواح » يقضي اكثر نهاره شبه بواب في منزل « الحاجة فاطمة » راضياً من هذا العمل بما يصيب من بقايا الطعام ، ومن المغالطات في حساب ما يشتريه لصاحبة المنزل ، ومما تعطيه اياه الحاجة من اجر شهري . فاما حاجتها اليه فلأنه حلقة الاتصال بينها وبين العالم الدنيوي ، لا تستطيع قضاء شيء بدونه . فهي مقيمة وحدها معتزلة الناس لا تزور ولا تزار ، ولا تبارح عتبة الدار الا مرة واحدة في العام تنتقل فيها الى القطار في طريقها الى حج بيت الله الحرام .. فأما عملها في ليل او نهار فهو الصيام والقيام والتعبد بالتلاوة والتسبيح، لا تفتأ ذاهبة آيبة بين مكان الوضوء وسجادة الصلاة . وكل ما يشعر الجيران بوجودها هو قعقعة القبقاب وحدها حين تذهب او تثوب . وليس يعلم احد ماذا يدور في مسكنها ، وعلى أي نحو يكون ، حتى ان « عبده السهتان » اقرب المقربين اليها لا يستطيع ان يعرف من دخائل هذا المسكن كثيراً او قليلاً . وقد اشرفت « الحاجة فاطمة » على الستين ، تميل بشرتها الى البياض ، مكتنزة الجسم ، تسير متئدة الخطى كأنها تتخطر . وهي تنفق على نفسها من كراء منزلها العتيق الذي تحتل منه الطبقة الاولى .

ومدت الحاجة فاطمة سفطاً الى « عبده السهتان » فتناوله في حذر ، ووجد في قاعه قطعاً من النقود ، ووقف يتلقى مطالب السيدة من السوق ، ونصائحها له ان يكون بصيراً يقظاً لا يتغفلها ولا يدع الباعة تتغفله ...

وخرج الرجل يحمل السفط في يمينه ، وسار متباطيء الخطو والضيق آخذ منه كل مأخذ . واستقبل الشارع فما ان صادفه عمود من اعمدة المصابيح حتى وجد نفسه يستند اليه ويلقي السفط بجواره مرخياً لافكاره العنان ... أخليق هو بان تطلق عليه « الحاجة فاطمة » لقب النجس ؟ الحق انه خادم وضيع في ملهى غير شريف تعرض فيه الوان من الفن الرخيص للرقص والغناء المبتذل تنطوي على تهتك وازراء بالفضيلة .. ما عمله على وجه التخصيص ؟ انه لا يستطيع له تحديداً ، فلا هو عامل مخصص للتلفون ، ولا هو غلام مقصف ، ولا هو احد عمال المسرح . انه لمفروض عليه ان يشترك في كل شيء ، ولكنه في الواقع لا يعمل شيئاً مذكوراً . تارة تطلب اليه احدى الغيد ان يستدعي لها سيارة ، ومرة يرغب اليه احد رواد الملهى في شراء علبة من لفائف التبغ ، وآناً يكلفه مدير الملهى نقل المقاعد وترتيبها على نحو مرسوم . وهو مع كل

هذا سفير الغرام بين المحبين يتنقل بين الموائد حاملاً رسائل شفوية او تحريرية تتضمن انباء المواعيد وتباريح الاشواق .. وطوراً يجد نفسه قد اندس في مشاجرة ينصر فئة على فئة دون ان يدرك لماذا يناصر او يعادي ؟ وطالما خرج من هذه المشاجرات مشجوج الرأس داميه . انه يعيش منذ اعوام في هذا الملهى المعطر دائماً باريج المرأة الفواح، الحافل دائماً بطيفها اللألاء، المتجاوب ابداً بصوتها ضاحكة اوشادية او عابثة، المهتز دائماً بحركاتها لاعبة او راقصة او متبخترة

وتخايلت على وجهه ابتسامة بلهاء ، وهو في وقفته بجوار عمود المصباح ، يعرض في مخيلته تلك المناظر الفاتنة لغانيات الملهى . ولكن ما موقفه هو من ذلك كله ؟ انه ليس اكثر من دعامة من دعائم هذا الملهى ، بل لعله اشد ذلة وبؤسا . ان الدعامة لتمر بها المناظر فلا تحس لها دبيباً ولا تشعر لها باستجابة . اما هو فتمر به هذه المناظر فتلهب قلبه وتثير وجدانه وتوقظ فيه شتى الاحاسيس فتظل تساوره دون ان يجد لها ما يشفي الغليل . انه ليذكر ان غانية طلبت اليه منذ يومين ان يأتي لها بمعطفها لجاءها به ، وكان وهو يحمل هذا الرداء الاملس الناعم المشبع بعبق مسكر كأنه يحمل بين ذراعيه صاحبته بجسمها البض وشعرها الفينان . ولما ناولها اياه قالت له : « اصلح الحذاء في قدمي يا عبده » فهبط من فوره على حذائها ، وامسك بالقدم العارية تمرج بلونها الوردي ، وجعل يقلبها وهو يرنو الى اصابعها اللامعة بخضابها الارجواني . وسبحت عيناه الى الساق البديعة الملساء . فسرت الرعشة في يده ، والفى وجهه يتدانى ، وفمه يتحفز لاختلاس قبلة من تلك المفاتن . وما كاد يهم بذلك حتى احس بدفعة في ظهره اسقطته . وسمع قائلاً يقول له :

دع الحذاء يا غبي .. انت لا تحسن مثل هذا .

فتنحى « عبده السهتان » عن مكانه ، وجثا الرجل يصلح للغانية وضع قدمها في الحذاء . ثم لمحه وقد انتهب قبلة مترعة من ساقها الرشيقة . وارسل « عبده السهتان » من اعماق صدره زفرة جياشة : محظور عليه ان يستمتع بمثل هذه القبلة على حين انها ميسورة لغيره من امثال ذلك الرجل .. وصعد بصره فيه فاذا هو « ابو النبابيل بك » ذلك الذي يختلف الى الملهى كل ليلة ولا يظهر في ليلة الا بحلة قشيبة لم يظهر بها قبل . هو صاحب تلك المحفظة السحرية التي تخرج منها الاوراق تباعاً دون ان ينقطع لها فيض ، هو الذي اذا جلس الى خوان الشراب تهافتت عليه اسراب الغواني يحطنه بسواعدهن الرخصة، وتتعالى حوله اصواتهن بالمرح والدعابة . على حين انه هو « عبده السهتان » لا عمل له الا ان ينظر ويتنهد !

واعتدل في وقفته بجوار عمود المصباح في الشارع ، وقد ايقظه من اخيلته صوت انبعث من بوق سيارة تعدو ، فأطـار من رأسه تلك الذكريات المتداعية ، وألفى نفسه يرسل في الهواء بصقة ويردد : « مكان سيء السمعة .. تهتك ... دعارة ... قبحاً لتلك الحياة ...! » ان « الحاجة فاطمة » لم تعد الحق حين وصفته بانه نجس قذر ، ما دام يعمل في هذا المكان ... وطأطأ رأسه ، والتقط السفط ، ثم انطلق الى السوق . وجاز في طريقه بقهوة ، فدخل فيها والقى السفط ، وجلس يتناول فطوره : كوبا من الشاي وجانباً من الكعك . ثم اشعل لفافة ، وراح يجذب أنفاسهـا في غير اكتراث . ومال بصره الى سفط « الحاجة فاطمة » قابعاً تحت قدمه يمثل الطهر والوقار والتقوى .. وطال اليه تحديقه .. ان صاحبة هذا السفط مكتوب لها نعيم الجنة تخلد فيه ، اما هو فمكتوب له عذاب النار وبئس القرار ... وركل السفط ركلة ألقته بعيداً .

ومـا لبث ان لاح لمخيلته شبح « أبي النبايل بك » ذلك الشيخ السادر في مآثمه ، المتهتك في شيبته بعد حياة عفة ونقاء ، وتمثله وهو يشاركه في مكانه من الجحيم ، فطافت بفمه ابتسامة ، وهمهم : « العبرة بالخاتمة ، يا حاجة فاطمة ! »

ونادى بخادم القهوة ، فدفع اليه ثمن الشاي والكعك من نقود سيدته ... ومر به بائع لفائف التبغ فاشترى علبة ودفع ثمنها من تلك النقود ايضاً . وكان وهو يدفع هـذه النقود يتجه بطرفه خلسة الى السفط يزوّر عنه سريعاً ! ..

*

كان الملهى في مساء ذلك اليوم غاصاً بالرواد ، كله عبث صاخب ، عبث في النور ، في الشراب ، في الرقص ، في الكلام ، في الضجة ، عبث في كل شيء ... انهـا حفلة ممتازة من حفلات السنة !

وانتشرت الغانيـات في الملهى تنساب بين الموائد انسياب الظباء بين الخمائل ... وكانت لفائف التبـغ حيرى متعبة وهي تعلو وتهبط في الايدي رائحة غادية ، ثم يقذف بها وهي في جدتها لم يستوف تدخينها ، فتطؤها الاقدام لاهية غير عابئة ... وترامت الخصور تتثنى والنهود تترجح على انغـام « الجاز » والغناء يرتفع فيختلط بالضجيج متزايلا فيه ، واشتدت الزحمة ، وكثر الطلب لاقداح الخمر ، واختلط السقاة بالروّاد ، فلم تعد تميز بين خـادم ومخدوم .. حتى لقد ترى الصواني طائرة فوق الرؤوس ذاهبة آيبة بلا هوادة ولا رفق كأنها وحدها تسير ... كل هذا و « عبده السهتان » بجوار رفيقه القديم عمود الملهى يرى ويتحسر ، وعيناه تتنقلان بين الاقدام الفتانة والسيقان العارية يطوف بخاطره حادث الغانية التي همّ بتقبيل ساقها ، وهو يعالج وضع قدمها في الحذاء ... وكان يخادع السقاة والرواد فيحتسي صبابات الكؤوس او يهبط على الارض يجمع اللفائف فيستمتع بانفاسها التي زهد فيهـا العابثون ...

وغادر « عبده السهتان » الملهى بعد منتصف الليل ، وقصد الى حانة حقيرة يستكمل فيها حاجته الى الشراب ، واندفع يعب من خمرها المحرقة ، وخيـال الملهى بمشاهده الخلابة يملأ رأسه ويتراقص امام عينه : اطياف المرأة بسيقانها العارية واقدامهـا الرشيقة التي لا تهدأ لها حركة ... وما ان فرغت نقوده حتى حمله صاحب الحانة ودفع به الى الطريق . وبعد تجوال هنـا وهنالك مترنحاً متساقطـاً احتواه وكره العتيق ، فرمى بجسمه على الدكة الخشبية . وما لبث ان غشيه سبات ثقيل

وفي صبح اليوم التـالي ، والساعة قد بلغت السادسة ، بدأ يتعالى امام حجرته هذا النداء :

. يا ولد يا عبده .. يا عبده الكلب .. يا نجس .. !

وكانت الالفاظ يزاحم بعضهـا بعضاً متجمعة حول حجرته تحاصرها وتهز بابهـا هزاً عنيفاً ، وما لبثت ان اقتحمت الباب وتدفقت تصارع اذني « عبده السهتان » . وكان في ذلك الوقت اسير حلم تتراءى فيه غانية الملهى ، تمد له ساقهـا ، ليصلح وضع قدمها في الحذاء ، وهي تغمز له بعين مسترخية ، وتبادله ابتساماً بابتسام !.. ولكن صخب الملهى تزايد بغتـة ، وظلت الضجة تعلو ، ولفظة « نجس » تتطـاير كالشرر في هذا الجو الثائر . و « عبده السهتان » يتقلب في فراشه دون هوادة ، وكاد يصرخ ليسكت الضجة ، فوجد عينيه قد تفتحتا محملقتين ثم الفى نفسه يصيح بصوت جهوري :

حاضر .. حاضر ..

ونهض مهرولاً ينفض النوم عن جفنيه ، ورأسه ما برح مثقلا بما عب في ليلته من شراب . وراح يهمهم في زمجرة مكتومة ، ودلف الى باب مسكن « الحـاجة فاطمة » وعلى فمه ابتسامته المطبوعة ، واشراقه المتصنع . ووقف على قيد خطوتين من الباب ، وقال وهو يمسح لعابه المتسايل :

أية خدمة تبغين يا ستي الحاجة ؟

وتخايل شبحها من جانب الباب ملففة بالبياض ، فراح يسارقها

النظر ، فتجلى له جسمها المكتنز ، ورأى قدميها الناصعتين تملآن القبقاب . وسمعها تقول :

ألا تعرف عملك يا قذر ؟ عملك الذي تأخذ عليه اجرك ؟ أليست اللقمة التي امنحك اياها هي التي تقوتك يا نجس ؟!

واندفعت تطلق عليه قذائف السباب متراصة حامية ، فحدق فيها ، ثم صاح : كفاك شتماً ... ماذا تظنين نفسك ؟

– أتذنب ثم تتوقح وتتبجح يا قليل الادب ؟

– صوني لسانك عن هذا الكلام . والا ..

– ماذا يا كلب ؟.. ماذا يا نجس ؟!

ورفعت السفط في يدهـا ، ثم قذفت به في وجهه ساخطة فأخطأته ، ولكن اندفاعها وهي تقذف بالسفط جعل القبقاب يتزلق عن قدمها ، فتظهر القدم جلية امام عين الرجل ، واذا « بالحاجة فاطمة » تفقد تماسكها وتوشك ان تهوي ، فعجل اليهـا « عبده السهتان » مارقاً من الباب ، فامسك بها يريد ان يحميها من السقوط ، فتهاوت عليه بجسمها البدين ، فسقطا معاً ، وقد التوت قدم « الحاجة فاطمة » فرددت متألمة : رجلي .. رجلي ..

ونهض الرجل ليرى ما اصابهـا ، وامتدت يده الى قدمها يتحسسها ويدلكها ، واحس بهـا ناعمة الملمس ريانة الجوانب .. وزاغ بصره ، واضطربت اخيلته ، فلم يعـد يميز أية قدم هذه التي بين يديه ؟ واخذت المشاهد تتشابك في رأسه المثقل بآثار الشراب : حادثته معغانية الملهى ، « ابو النبايل بك » الشيخ المتصابي الثري ، الليلة البارحة وما كان فيها من عبث ومجون ...

وكانت يده ما فتئت تدلك قدم « الحاجة فاطمة » في حنان ورفق ، وخيل اليه انه يسمع صوتها وهي تقول :

تنح عني .. لا تمس قدمي يا نجس !

ووثب في مخيلته مشهد « ابي النبايل بك » وهو يتبوأ مقعده من الجحيم ، وقد تدانى منهـا شبح « الحاجة فاطمة » في طريقها اليها ..

واذا بضحكة صاخبة تنطلق من حلقه ، فيهتز لها جسمه...

واذا بعينيه تلتهبان وتسبحان الى ساق « الحاجة فاطمة »

واذا به ينقض بفمه على تلك الساق النـاصعة الملساء ، وقد طوقها بيديه ، وشفتاه تختلجان ...!

وشاع صمت عميق لم يكن يشوب صفوه الا بعض زفرات وتنهدات ...!

القاهرة — محمود تيمور

الاديب وكتاب الاديب

تطلب من المكاتب التالية

✶

بيروت	من	دار الصحافة والنشر
صيدا	«	السيد يوسف الجيز
النبطية	«	مكتبة الشباب لصاحبها السيد معين جابر
صور	«	السيد محمد سعيد البلاغي
مرجعيون	«	السيد جميل ماضي
طرابلس	«	مكتبة زبليط ومن عموم الباعة
زغرتا	«	السيد فؤاد الحاج
حلبا	«	السيد عبدالله محفوض
زحلة	«	السيد جوزيف فرحات مطران
عاليه	«	السيد نجيب سليمان
بعلبك	«	السيد علي الاحمر
دمشق	«	السيد عباس الروماني وعموم الباعة والمكاتب
حماه	«	مكتبة السيد عبد الحميد طباع
حمص	«	« السيد عبد السلام السباعي « السيد توفيق الشامي
اللاذقية	«	« السيد حنا نصره « عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد مترجلي
طرطوس	«	« الاستاذ صالح علي
حلب	«	« السيد جان رزق الله كردي
الباب	«	« الشهباء للسيد محمد سعيد المكتبي
دير الزور	«	السيد صالح السيد
العراق	«	المكتبة العصرية لصاحبها السيد محمود حلمي ومن عموم المكاتب والباعة
فلسطين	«	شركة فرج الله للصحافة وعموم المكاتب والباعة
مصر	«	مكتبة النهضة المصرية وعموم المكاتب والباعة
البرازيل	«	الاستاذ توفيق ضعون سان باولو ص . ب ٧٣١

•

وهي تباع : في سوريا ولبنان بليرة ل . س . في العراق بـ ١٠٠ فلس ، في فلسطين بـ ١٠٠ مل ، وفي مصر والسودان بـ ١٠٠ مليم .

من فنون الطب عند الاقدمين

بقلم نور الدين بيرهم
امين المخطوطات بدار الكتب الوطنية

فحص الاطباء – رشوة الفاحصين – شهادة الاطباء – التخصص في الطب – تحليف اليمين – كرامة مهنة الطب – اجتناب الادوية المركبة – صناعة الطب للنفع فقط – مكافحة غش الادوية – لا يطبب مريضاً يطببه غيره – محاكمة الاطباء على اغلاطهم – الضرائب على الاطباء – كتابة كيفية استعمال الدواء على الزجاجات – كتابة الوصفات واعادة النظر فيها من قبل الطبيب الجديد جمعية اطباء علمية – جمعية اطباء للمريض – اثر الصدفة في شهرة الطبيب – تحليل الدواء لمعرفة تركيبه – تسمية الادوية باسماء صانعيها – كتمان سر المهنة – ادب عيادة المريض .

◆

فحص الاطباء

جاء في كتاب اخبار العلماء باخبار الحكماء[1] للوزير جمال الدين بن القفطي المتوفي سنة ٦٤٦ ه ما يلي :

في سنة تسع عشرة وثلثمائة اتصل بالمقتدر ان رجلاً من الاطباء غلط على رجل فمات فأمر محتسبه بمنع جميع الاطباء عن معالجة الناس الا من امتحنه سنان بن ثابت بن قرة و كتب له رقعة بما يطلق له التصرف فيه من الصناعة وامر سناناً بامتحانهم وبلغ عددهم في بغداد ثمانمائة ونيفاً وستين رجلاً سوى من استغنى عن امتحانه باشتهاره بالتقدم في صناعة الطب وسوى من كان في خدمة الخليفة[2] .

رشوة الفاحصين

ومن ظريف ما جرى لسنان بن ثابت بن قرة في امتحان الاطباء في ايام القاهر انه احضر اليه رجل مليح البشرة والهيئة ذو هيبة ووقار ، فاكرمه الفاحص سنان على موجب منظره ورفعته ، ثم التفت اليه سنان وقال له : قد اشتهيت ان اسمع من الشيخ شيئاً احفظه عنه وان يذكر شيخه في الصناعة . فاخرج الشيخ من كمه قرطاساً فيه دنانير ووضعها بين يدي الفاحص سنان وقال : والله ما احسن اكتب ولا اقرأ شيئاً ولي عيال ومعاشي دار دائرة وأسألك ان لا تقطعه عني . فضحك الفاحص وقال : على شريطة انك لا تهجم على مريض بما لا تعلم ولا تشير بفصد ولا بدواء مسهل

(١) اخبار العلماء باخبار الحكماء طبع مصر ص ١٣٠

(٢) عيون الانباء في طبقات الاطباء المطبعة الوهبية ج ١ ص ٢٢٢

قال الشيخ هذا مذهبي وما تعديت قط وصف السكنجين والجلاب وانصرف .

ولما كان من الغد حضر اليه غلام شاب حسن البزة مليح الوجه فنظر اليه الفاحص سنان وقال له على من قرأت قال على ابي قال ومن يكون ابوك قال الشيخ الذي كان عندك بالامس قال نعم الشيخ . وانت على مذهبه قال نعم قال لا تتجاوزه قال سمعاً وطاعة وانصرف[3] .

شهادة الاطباء

كان للعلم مقام وللطب احترام و كان اهتمام الحكومات بمصالح الناس على جانب عظيم من الدقة والتدقيق . ومنها انهم جعلوا للطب نظاماً[4] يتمشى عليه الاطباء . و كان لا يتخرج طبيب ولا لأي احد من الناس ان يتعاطى مهنة الطب عفواً وجزافاً بل كان الطبيب مجبراً ان يؤدي فحصاً وينجح بفحصه ثم ينال شهادة الطب التي بعد الحصول عليها يمكنه معاطاة هذه المهنة ومداواة الناس[5]

التخصص في الطب

كان لا بد من التخصص و كانت الشهادات تعين لكل طبيب اختصاصه ولا يجوز للاطباء التصرف بمهنتهم في غير ما حدد لهم الفاحص و كان منهم طبيب الصحة والطبيب النسائي والجراح

(٣) ابو الفرج ابن العبري ص ٢٨٢

(٤) تاريخ ابو الفرج ابن العبري طبع بيروت ص ٢٨١

(٥) طبقات الاطباء لموفق الدين ابي العباس ابن ابي اصيبعه ج١ ص٢٢٢ الطبعة الاولي المطبعة الوهبية القاهرة ١٢٩٩ ه

والكحال طبيب العيون الخ. (٦)

وممن اشتهر من الاطبـاء المتخصصين بالامراض النسائية الاجانيطي القوابلي (٧) وكان خبيراً بعلل النساء كثير المعاناة لهن وكانت القوابل يأتينه ويسألنه عن الامور التي تحدث للنساء عقب الولادة فينعم بالجواب لهن ويجيبهن عن سؤالهن بمـا يفعلنه فلذلك سموه بالقوابلي وللقوابلي كتب كثيرة في علوم الطب اشهرها واوسعها كتاب علل النساء (٨) .

تحليف الاطباء

وكانت لا تسلم شهـادة طبيب ناجح في امتحانه الا بعد ان يقدم اليمين باستعمال مهنته فيما ينفع البشر ولا يضر احداً باعطائه عقـاقير تضر بصحته مع الاقرار بالقسم ان علم الطب لم يوضع الا لنفع ابناء البشر ومقصور على معالجتهم وتخفيف ويلات الامراض عنهم (٩) .

كرامة مهنة الطب

وكان لحرفة الطب حرمتها ومكانتها وكانوا لا يتبذلون بطرق واساليب مزاولتها حتى انهم وضعوا حداً لائقاً بتناولة اجورهم مع مراعاة حالة المرضى واقتدارهم على دفع هذه الاجور .

ومما يروى عن كرامة حرفة الطب ان الطبيب احمد بن عقيل المعروف بابن ابي الحوافر رأى يوماً زميلاً له يشهد وموقف طبي لا يتفق مع كرامة حرفة الطب فانتهره ومنعه عن متابعة عمله وتوعده ان لا يعود الى مثل هذه الاعمال التي تتنافى مع كرامة المهنة ومقام العلم ومكانة الاطباء (١٠) .

استـدعى العزيز بن المعز العلوي المستولي على مصر الطبيب جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع من بغداد لمداواته فحضر جبرائيل بكل اكرام واسباب راحة السفر وقابل العزيز بن المعز ووصف له الدواء اللازم واخذه العزيز فاني ثاني يوم بختيشوع لحضرة العزيز ودخل عليه فرآه على احسن حال وسأله عن الدواء فقال له العزيز ما عمل معي شيئاً امتحاناً له فقال بختيشوع كل شيء فيك يدل على انك اخذت الدواء وارى آثار نفعه عليك والامير اصدق، فضحك العزيز ففهم جبرائيل الطبيب ان العزيز يمتحنه فخرج من عنده وامر ان يشد رحله ويحضروا له اسباب الانصراف فبلغ ذلك مهـد الدولة فانفذ اليه يستعلم سبب انصرافه فقال مثلي لا يجرب وللطب حرمة وانا اشهر من ان احتـاج الى تجربة . فترضاه ولم يمكنه من السفر (١١) .

ولما دخل عضد الدولة الى بغداد كان اول من لقيه من الاطباء ابو الحسن الحراني ورفاقه وكان شيخاً مسنـاً فسأل الخليفة من هؤلاء، قالوا الاطباء، قال نحن في عافية وما بنـا حاجة اليهم فلم يتهيب ابو الحسن الموقف وقال للخليفة اطال الله بقاء مولانا الخليفة ان موضوع صناعتنا حفظ الصحة اولاً ثم مداواة الامراض والخليفة احوج الناس اليه فقال عضد الدولة صدقت وقرر للاطباء راتباً (١٢)

اجتناب الادوية المركبة

وكان من فنون المداواة عنـد الاقدمين ان يتجنب الطبيب قـدر الامكان الادوية المركبة وممن اشتهر بذلك الوزير الطبيب ابو المطرف عبـد الرحمن بن شهيد مصنف الادوية المفردة وكان من آيات الله في الطب حتى انه عاني جميع ما في كتابه من الادوية المفردة وعرف ترتيب خواصها وقواها ومفعولها وكان لا يرى التداوي بالادوية، ما امكن بالاغذية او ما يقرب منهـا ، واذا اضطر الى الادوية فلا يرى التداوي بالادوية المركبة ما وجد سبيلاً الى المفردة منها واذا اضطر الى المركب لا يكثر التركيب منها بل يقتصر على اقل ما يمكنه (١٣) .

والوزير الطبيب ابي المطرف عبـد الرحمن بن شهيد حوادث وغرائب مشهورة في الابراء من الامراض الصعبة والعلل المخيفة بطريقته هذه بأيسر واقرب العلاجات (١٤) .

صناعة الطب للنفع فقط !

احضر الخليفة الطبيب العالم حنين واخرج له توقيعاً فيه اقتطاع

---

(٦) ابن القفطي ص ١٣٠ (٧) تاريخ ابن العبري ص ١٧٦

(٨) تاريخ ابن العبري ١٧٦ وابن ابي اصيبعة في ترجمة القوابلي .

(٩) تاريخ مختصر الدول لغريغوريوس ابي الفرج بن هرون الطبيب الملطي طبع بيروت ١٨٩٠ ص ٢٥٢

(١٠) طبقـات الاطباء ابن ابي اصيبعه ج ٢ ص ١١٩ المطبعة الوهبية الطبعة الاولى ١٨٨٢

(١١) اخبار العلماء بأخبار الحكماء لجمال الدين بن القفطي ص ١٠٥ – ١٠٦

(١٢) ابن ابي اصيبعه ج ١ ص ٢٢٧ المطبعة الوهبية مصر ١٢٩٩ هـ.

(١٣) نفح الطيب للمقري ج ٢ ص ٢٣٣ الطبعة الاولى المطبعة الازهرية ١٣٠٢

(١٤) اخبار العلماء باخبار الحكماء للوزير جمال الدين بن القفطي المتوفي ٦٤٦ هـ مطبعة السعادة ص ١٥٢

يشتمل على خمسين الف درهم ثم قال له اريد ان تصف لي دواء يقتل عدواً نريد قتله فقال حنين ما تعلمت الا الادوية النافعة ولا ظننت ان امير المؤمنين يطلب مني غيرها فحبسه سنة ثم استدعاه واحضر نطعاً وسيفاً فقال حنين قد قلت لامير المؤمنين ما فيه الكفاية قال الخليفة فاني اقتلك قال حنين لي رب يأخذ لي حقي غداً في الموقف الاعظم فتبسم المتوكل وقال له طب نفساً فاننا اردنا امتحانك وما الذي منعك من الاجابة مع ما رأيته من اعتادنا على قتلك قال حنين الدين والصناعة . اما الدين فيأمرنا باصطناع الجميل واما الصناعة فانها موضوعة لنفع ابناء البشر ومقصورة على معالجتهم فاجزل الخليفة العطاء لهذا العالم الطبيب[١٥] .

مكافحة غش الادوية

وما كانوا يكتفون بالتضييق على اجازة الاطباء واعطائهم الشهادات وتحليفهم يمين المهنة بل عرفوا ايضاً اهمية الدواء وتأثيره في شفاء المريض فجعلوا الرقباء على الصيدليات ومفاجأتهم بفحص العلاجات التي يحضرونها للمرضى اذا كانت سليمة من الغش واذا ابدلت مادة بغيرها لغلاء ثمن الواحدة ورخص الثانية .

وممن كان يشدد كثيراً بذلك الافشين حيدر بن كاوس في خلافة المعتصم فانه دعا يوماً بدفتر الاسروشنية[١٦] واخرج منه نحواً من عشرين اسماً ووجه الى الصيادلة او الصيدلانية (وهذا اسمهم منذ عهد العباسيين) من يطلب منهم ادوية مسماة بتلك الاسماء. فبعض انكرها وبعض ادعى معرفتها واخذ الدراهم من الرسل ودفع اليهم شيئاً من صيدليته . فأمر الافشين باحضار جميع الصيادلة فمن انكر معرفة الاسماء تركه طليقاً ومن ادعى انها دواء نفاه[١٧] .

وذكر الطبيب زكريا الطيفوري قال كنت مع الافشين في معسكره وهو في محاربة بابك فقال لي يا زكريا يجب ان نفحص الصيادلة حتى نعرف منهم الناصح من غير الناصح فقلت اعز الله الامير ان يوسف الكيميائي كان يدخل على المأمون كثيراً ويعمل بين يديه فقال له يوماً ويحك يا يوسف ليس في الكيمياء شيء فقال بلى يا امير المؤمنين، الصيدلاني لا يطلب منه شيء من الاشياء كان عنده او لم يكن الا قال بانه عنده ودفع الطالبه شيئاً من الاشياء وقال هذا الذي طلبته ويعطيه اياه!

فان رأى امير المؤمنين ان يضع اسماً من الاسماء ونرسل بطلبه كدواء من الصيادلة ونرى الجواب واذ بعد مدة عادت الرسل منهم من اخبر وقال ان الصيدلي الذي ذهبت لعنده قال انه لا يعرف هذا الدواء، ولم يعطني شيئاً ومنهم من كان يعطي الرسل أي شيء. ويقول له هذا مطلوبك فاتت الرسل منهم من اتى بقطعة حجر ومنهم من اتى ببعض البذور الخ فضحك المأمون[١٨] .

لا يطبب مريضاً يطببه غيره

ومن اداب الطب عندهم ان لا يطبب طبيب مريضاً يطببه غيره من الاطباء .

في سنة خمس وسبعين ومائة مرض جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك فطلب جعفر الطبيب بختيشوع فرفض ان يطببه لانه اولا مختص بخدمة الرشيد وثانياً لان آداب مهنته تقضي عليه بان لا يطببه ما دام غيره من زملائه يعالجه فبلغ الخبر الرشيد فأمر الطبيب بختيشوع ان يداوي جعفراً فداواه[١٩]

محاكمة الاطباء على اغلاطهم

وكان نيل الشهادة لا ينجي الطبيب من عاقبة جهله واغلاطه في معالجة الناس بل كان اذا اخطأ في تشخيص الداء واعطاء الدواء، ونتج عن ذلك ضرر للمريض يطالب الطبيب المخطيء. ويحاكم على خطيئته ويحاسب على ما اقترفه نحو مريضه امام هيئة وينال عقاب ما جناه على افراد الناس[٢٠]

الضرائب على الاطباء

وكان من منظمات الطب ان تدفع الاطباء ضرائب وكانت هذه الضرائب تحدث بين وقت وآخر بعض المجادلات بين ارباب الحكم وارباب المهنة (ولا شيء جديد تحت الشمس) واشهر هذه المشاحنات تلك التي جرت بين احمد بن محمد الكرزي الغرناطي شيخ الاطباء في غرناطة وبين عبدالله الرقوطي . وكانت دائماً

(١٥) ابن العبري ص ٢٥١ - ٢٥٢

(١٦) اشروسنة . كذا ذكرها ياقوت الحموي المتوفي ٦٢٦ في كتابه معجم البلدان وقال انها بلدة كبيرة بين سيحون وسمرقند معجم البلدان مطبعة السعادة ج ١ ص ٢٥٦ آخر سطر و٢٥٧

(١٧) تاريخ ابن العبري ص ٢٤٤

(١٨) القاضي الاشرف ابن القفطي ص ١٢٩ مطبعة السعادة

(١٩) ابن القفطي ص ٩٣ - ٩٤ .طبع مصر آخر سطر ص ٩٣ واول سطر ص ٩٤

(٢٠) من رسالة لابن بطلان المختار بن حسن بن عبدون نشرها ابن العبري ص ٣٣٢

تنتهي هذه الاختلافات بتقرير وجوب اخذ الضرائب من الاطباء.[٢١]

كتابة كيفية استعمال الدواء على الزجاجات

وكانت كتابة كيفية استعمال الدواء على زجاجات الدواء معلومة عندهم وهي ليست من مبتكرات اليوم .

ويفيدنا ابن ابي اصيبعة صاحب عيون الانباء في طبقات الاطباء.[٢٢] ان الملك الكامل ارسل يطلب دواء من الطبيب رشيد الدين بن الفارس . فارسل الطبيب رشيد الملك الدواء في حنجور من فضة وكتب على ورقة كيفية استعمال الدواء والقدر الذي يجب ان يؤخذ منه والاوقات المعينة التي يجب ان يؤخذ الدواء فيها والصقها على الحنجور وارسلها للملك . ولرشيد الدين كتاب في الادوية المفردة سماه المختار في الف عقار .

كتابة الوصفات واعادة النظر فيها

من قبل الطبيب الجديد

لسنا بحاجة الى القول ان الاطباء الاقدمين كانوا يكتبون الوصفات الطبية او العلاجات لمرضاهم فهذا امر معروف ومشهور.

ولكننا نتحدث بكلمة صغيرة عن اعادة النظر في وصف العلاجات من قبل الطبيب الجديد الذي دعي الى معالجة مريض بعد ان عالجه غيره من الاطباء .

وذلك ما وقع للطبيب رشيد الدين ابو حليقة (لحلقة كانت في اذنه) ان الملك الكامل مرض وطبيه الرشيد فاستفاد من دوائه ثم اضطر الرشيد للتغيب بسبب ، مرض اثناءه الملك فذهب الاطباء الى الطبيب ابي حليقه واخبروه ان الملك عاوده المرض فقال لهم ليداوم الملك على ذات العلاج ما دام لايشكو من غير مرضه المعلوم . فغير الاطباء علاج الطبيب الرشيد فلم يستفد الملك منه وطلب نسخة الدواء الاول فعلم ان فيه بعض التغيير ورجع الى ما كان يأخذه من العلاج الموصوف اولاً[٢٣] .

جمعية اطباء علمية

يوحنا بن ماسويه من اشهر الاطباء وعلمائها ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة لما وجدها بانقرة وعمورية وسائر بلاد الروم

(٢١) الاحاطة في احوال غرناطة للوزير ابن الخطيب الطبعة الاولى . مطبعة الموسوعات ١٣١٩ ج ١ ص ٨٧

(٢٢) عيون الانباء ج ٢ ص ١٢٦ المطبعة الوهبية الطبعة الاولى سنة ١٢٩٩ ه (٢٣) ابن ابي اصيبعة ج ٢ ص ١٢٧

ورتب له كتاباً حذاقاً يكتبون بين يديه[٢٤] . وخدم ابن ماسويه الخلفاء هرون الرشيد والامين والمأمون والمعتصم بالله والواثق والمتوكل .

ولما صار يوحنا بن ماسويه طبيباً بدار الخلافة دون رسالة طويلة اودعها ما عرض له من التجربة[٢٥] . في معالجة اهل السقام واتخذ مجلساً افرده للنظر في استنباط العلاجات باجتماع الرأي مع غيره من الاطباء.[٢٦] .

جمعية اطباء للمريض

اختلفت الاطباء في حالة مريض وطريقة معالجته مع الطبيب رشيد الدين ابي حليقة فقال له احدهم انني أسن منك وقد عاينت وباشرت من المرضى اكثر منك أتوافقني على كتابة هذه الرقعة أم لا فقال له لا اوافقك فقالت جماعة الاطباء لا بد لنا من المطالعة وتبادل الآراء ومداولة الاستعراض في العارض فقال لهم ابن حليقة ان كان لا بد لكم من المطالعة والمداولة فتكون باسمائكم من دون اسمي ومن هذه الامثلة كثير اقتصرنا منها على هذا[٢٧] .

اثر الصدفة في شهرة الطبيب

عيسى ابو قريش الصيدلاني ليس هو بالطبيب الماهر ولكنه رزق الشهرة بين الناس عن اتفاق وقع له وهو ان الخيزران جارية المهدي وجهت بمائها مع جارية لها الى الطبيب فخرجت الجارية من القصر ورأت ابا قريش الماء فقال لها هذا ماء امرأة حبلى بغلام فرجعت الجارية بالبشارة فقالت لها ارجعي اليه واستقصي المسألة عليه فرجعت فقال لها ما قلت لك حق ولكن عليك البشرى .

وبعده ولدت جارية المهدي موسى اخا هارون الرشيد فوجه المهدي الى ابي قريش فاحضره واقيم بين يديه فلم يزل يطرح عليه الخلع والدراهم حتى علت رأسه وكناه ابا قريش أي ابا العرب[٢٨] .

وبعد ذلك اتخذته الخيزران طبيباً في دار الخلافة[٢٩] وهكذا ارتقى عيسى ابو قريش من طبيب صيدلاني عادي يجلس على موضع في الشارع قرب باب قصر الخليفة الى طبيب دار الخلافة .

(٢٤) تاريخ مختصر الدول طبع بيروت ١٨٩٠ ص ٢٢٧

(٢٥) ابو الفرج ٢٣/ (٢٦) حضارة الاسلام ص ٢٠٤

(٢٧) عيون الانباء ج ٢ ص ١٢٤

(٢٨) طبقات الاطباء ج ١ ص ١٦٩

(٢٩) حضارة الاسلام في دار السلام مطبعة المؤيد ١٣٢٣ ص ٢٠٦

تحليل الدواء لمعرفة تركيبه

وهذا الحراني كان في ايام الامير محمد بن عبد الرحمن وكانت عنده مجربات حسان بالطب فاشتهر بقرطبة وحاز الذكر فيها . قال ابن جلجل رأيت حكاية عند ابي الاصبغ الرازي وهي ان هذا الحراني ادخل الى الاندلس معجوناً كان يبيعه لاوجاع الجوف فكسب به مالاً فاجتمع خمسة من الاطباء مثل حمدين وجواد وغيرهما واشتروا منه من ذلك الدواء . وانفرد كل واحد منهم بجزء يفحصه ويذوقه ويكتب ما تأدى اليه منه الحراني وقالوا له قد نفعك الله بهذا الدواء الذي انفردت به ونحن اطباء اشترينا منك دواءك وفحصناه وعلمنا تركيبه واسراره فان يكن ما تأدى الينا حقاً فقد اصبنا والا فاشركنا في علمه فقد انتفعت منه الكفاية فاستعرض كتابهم فقال ما اعدتم من ادويته دواء . لكن لم تصيبوا تعديل اوزانه وهو الدواء المعروف بالمغيث الكبير فاشركهم في علمه[٣٠] .

تسمية الادوية باسماء صانعيها

وكانوا لا يجهلون ان يسموا بعض الادوية التي استنبطوها باسمائهم . وممن اخترع ادوية عديدة وكان يسمي كل دواء من اختراعه باسمه :

جواد الطبيب كان في ايام الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط . وله اللعوق المنسوب اليه « لعوق جواد » وله ايضاً دواء الراهب والشرابات والسفوفات المسماة باسمه .

وكذلك حمدين وبنو حمدين كانوا يضعون الادوية النباتية ويسمونها باسمائهم كما نرى اليوم اسماء ادوية كثيرة باسماء مكتشفيها او صانعيها او مخترعيها[٣١] .

كتمان سر المهنة

وكانت الاطباء تحلف ان لا يعطوا احداً دواء مرأ ولا يركبوا له سماً ولا يضعوا السمائم عند احد من العامة ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الاجنة ولا للرجال الدواء الذي يقطع النسل وليغضوا من ابصارهم عن المحارم عند دخولهم على المرضى ولا يفشوا الاسرار ولا يهتكوا الاستار[٣٢] .

(٣٠) طبقات الاطباء ابن ابي اصيبعه ج ٢ ص ٤٢
(٣١) عيون الانباء في طبقات الاطباء ج ٢ ص ٤١ المطبعة الوهبية ١٨٨٢
(٣٢) تاريخ البيمارستانات في الاسلام المطبعة الهاشمية ص ٥٢

ادب عيادة المريض

وما دمنا نتكلم عن « الاحوال الشخصية » عند الاطباء فلا بأس اذا تكلمنا عن ادب عيادة المرضى .

مرض يحيى بن خالد فكان اسمعيل بن صبيح الكاتب اذا دخل عليه يعوده وقف عند رأسه ودعا له ويخرج فيسأل الحاجب عن منامه وشرابه وطعامه .

وكان بكر بن عبدالله يقول المريض يعاد والصحيح يزار .
وقال عمر بن عبد العزيز اذا عدت المرضى فلا تنع اليهم الموتى ومن هذا كثير في كتب الادب والتاريخ[٣٣] .

نور الدين بيهم

(٣٣) العقد الفريد المطبعة الجمالية مصر ج ٢ ص ٣
(حاشية) حذونا حذو بعض المستشرقين بتسمية المؤلفات باسمائها واحياناً باسماء مؤلفيها فقط او الاكتفاء بقسم من اسماء المؤلفات وذلك تسهيلاً لمراجعة المصادر لان من المطالعين من يعرف الكتاب باسمه ومنهم من يعرفه باسم مؤلفه . فمنهم من يقول جاء في ابن خلكان ومنهم من يقول جاء في وفيات الاعيان ومنهم من يقول عيون الانباء او طبقات الاطباء وما اشبه ذلك . فاقتضى التنبيه .

العلاقة بين الفلسفة والدين

بقلم
الاب يوسف الحكيم
ليسانسيه
في الفلسفة




من القضايا التي طالما بحث عنها الفلاسفة ، لا سيما فلاسفة العرب ، قضية العـلاقة بين الفلسفة والدين وذلك لما لهذه القضية من الاهمية الكبرى كونها تتضمن حقلين جوهريين في حياة الانسان : الفلسفة والدين . قد اختلف في حل هذه المسألة باختلاف الآراء . والمذاهب الفلسفية وغرضنا هنا الاتيان على ذكر فئتين فقط من فلاسفة هذا العصر : البرهانيون والثوماويون .

اولاً البرهانيون — بين برهانيي اليوم يلفت نظرنا بنوع اخص السيد لاوون برونشفيك، استاذ الفلسفة في السوربون ، الذي القى في المؤتمر الدولي الفلسفي المنعقد في براغ سنة ١٩٣٤ محاضرة قيمة عنوانها : الدين والفلسفة(١) ان هذه المحاضرة التي سنرى الآن اهم ما جاء فيها تتضمن زبدة مؤلفات(٢) هذا الاستاذ وفي الوقت نفسه تكشف الحجاب عن عقلية الكثيرين من برهانيي هذا العصر .

يظهر جلياً في هذه المحاضرة مبدآن متميزان تام التمييز الواحد عن الآخر : مبدأ سلبي ومبدأ وضعي . المبدأ السلبي هو بمثـابة اساس للبرهانيين ولكل ما يذكرونه . والمبدأ الوضعي يعمّر ما قد هدمه المبدأ السلبي مندفعاً الى ذلك بفكر الدين .

المبدأ السلبي — يستند البرهانيون في مبدئهم السلبي الى وحدانية الحقيقة اذ يقولون : « ان ما يجعل الفيلسوف فيلسوفاً اعتباره الحقيقة واحدة غير متجزئة ، فالحقيقة الدينية اذاً لا تفتقر الى اساس لان اساسها ومضمونها ممتزجان الواحد مع الآخر بل هما شيء واحد(٣) »

(1) G. Revue de Métaphysique et de Morale, Janvier 1935, p. 1-13
(2) G. Spinoza et ses contemporains, Paris, Alcan, 3e édi. Introduction à la vie de l'esprit, 5e éd., ibid. — Les âges de l'intelligence, ibid.
(3) G. communication déjà citée, p. 6

فما تقدم ينتج صريحاً انه لا يمكن اثبات شيء ما لم يمحصه العقل بالعلم والاختبار . وبالتالي يتعذر قبول الحقائق الالهية الموحى بها وذلك لان هذه الاسرار ليست موضوعاً للاختبـار فضلاً عن ان علامات الوحي لا يمكن اثباتها تاريخياً وفلسفياً ويمكن دائماً الشك بوجودها وقيمتها . وبالاختصار ، فعلى زعم البرهانيين ، لا دين البتة ، وحي بعلامات مثبتة حقيقية(١) .

وبحسب هذا المبدأ لا يمكن معرفة ما اذا كان الله موجوداً لعدم امكان الاستعانة بمبدأ العلية الذي لا قوة له عند البرهانيين الا في حقل الظواهر فقط .

فبرهانيو اليوم ، على مـا يظهر ، يعترفون بوضعية الاسميين « Nominalistes » الذين لا يسلمون بشيء من « ما وراء الطبيعة » والدين ، بحسب كانت ، لا يمكن تصوره الا بالعقل المحض والطريقة الوحيدة التي لم تستعملها البشرية بعد هي اعطاء الحق كله للعقل وحـده الذي ، كما يقول كانت ايضاً ، لا يسلم الا بدين واحد . ولاجل توحيد هذا الدين يجب الاستناد الى العقل فقط بعد تجريده من كل البواعث التي من شأنها ان تؤثر عليه بنوع انه يصبح واحداً عند الجميع(٢) .

المبـدأ الوضعي — بعد ان نفى البرهانيون بمبدئهم السلبي كل وحي الهي وتأكيد طبيعي لوجود اله متميز عن العـالم يقرون بمبدئهم الوضعي بحقيقة الدين .

يقول السيد برونشفيك : « الدين هو الكلمة Loges: verbe التي قبلها اليونان من مصر ، هو نور داخلي ينير كل انسان آت الى هذا العالم — وبقدر مايرجع الانسان الى ذاته ويختلي في نفسه بقدر ذلك يشعر بهذا النور — ، هو اعتقاد ثابت بانه يوجد في باطن كل

(1) G. ibid., p. 5
(2) G. ibid., p 11—12

منا نحن البشر شيء ينبئه عن كل شيء بنوع انه لا حاجة لنا ان نلتجيء الى روح آخر لنتعرف الى شيء جديد . »

ان « كلمة » هذا الدين المبني على متطلبات العقل ليست سوى كلمة عقل الانسان الذي هو في تطور متواصل . وموضع عبادة الله المتميز حقيقة وجوهرياً عن الانسان حلت عبادة العقل البشري لانه الله ، بحسب البرهانيين ليس موضوعاً لحقيقة متميزة عما سواها ولا لمحبة متفردة عن غيرها بل هو ما به نحن قديرون ان نفهم وان نحب . وبهذا المعنى « فكلمة » البرهانيين (التي هي الهم) مستقلة تمام الاستقلال وهي كائنة فيهم .

وهكذا فالعقل البشري ، بحسب هذا المذهب ، هو المرجع الاعلى لمعرفة الحق من الباطل وذلك ليس في الحقل العلمي فقط بل وفي الحقل الديني ايضاً كما هو ظاهر عند اتباع سبينوزا وكانت وهيغل . فعلى زعم هؤلاء الدين تابع للفلسفة التي تحكم على كل شيء ولا شيء يحكم عليها .

نقد مذهب البرهانيين

ان اساس هذا المذهب واه ، متزعزع الاركان وليس هو على شيء من الثبات والقوة اذ يحصر الحقيقة اجمالاً بالوحـدة العلمية غير المتجزئة . اجل ان المعرفة البشرية لا تنحصر في الاختبار فحسب بل تتخطى الى ما هو اسمى من ذلك : الى الحقيقة الحسابية ، الى حقيقة « ما وراء الطبيعة » ، الى حقيقة مبدأ العلية الذي ليس هو ، كما يزعم البرهانيون « كل ظاهر يفترض ظاهراً آخر » بل هو « كل موجود عرضي يفترض موجوداً سابقاً وهكذا دواليك حتى تصل اخيراً الى موجود واجب الوجود لا علة له » ، يعني الوجود بالذات والحقيقة المطلقة والصلاح الفياض والحياة الكاملة . وهذا الكائن الضروري يمكن ان يكون له علاقة مع الكائن العرضي لانه علته . كما وانه ، من الجهة الثانية يمكن للكائن العرضي ان يطلع على هذه العلاقة كونه معلولها . وبالتالي فالوحي لا يضاد العقل وان فاقه ادراكاً .

بحسب البرهانيين العقل مقياس الموجودات ولا بعكس . ولكن فات هؤلاء انهم يضادون انفسهم بانفسهم اذ يصفقون للاختبار ويثبتون ما يعاكس الاختبار على خط مستقيم لان العقل وحده لا يعرف شيئاً قبل ان يبتدىء اقتبـاس معارفه من الخارج وكل معرفة لا تطابق الموضوع الخارجي تكون مغلوطة ، باطلة ، غير حقيقية . اذاً عبثاً يحاول البرهانيون ان يجعلوا هذا النور الضئيل نور العقل مستقلاً عن شمس الحكمة الازلية التي منها يستمد نوره . يريد البرهانيون ان يوحدوا العقل والارادة ويجعلوا منهما شيئاً واحداً . وهذا ايضاً يضاد الاختبار اذ انه كم من العلماء المتمرغين باكبر الرذائل ؟ وكم من السذج المتجملين باسمى الفضائل ؟

ان « كلمة » البرهانيين ليست سوى كلمة العقل اي انهم عملياً يعبدون العقل البشري مع ان تأدية العبادة لا تكون الا لمـا هو اسمى وارفع درجة ومقامـاً . فعليهم اذاً ان يقروا بواحد من اثنين : اما ان يسلموا بوجود اسمى من العقل واما ان ينكروا الدين بالاطلاق .

وعليه فالعلاقة بين الفلسفة والدين لا وجود لها عند برهانيي اليوم المتمسكين بوحدانية الحقيقة . فلا يوجد عندهم حقيقة فلسفية متميزة عن حقيقة دينية بل هما شيء واحد .

ان هذه الوحدانية لا تطبق الا على الكائن البسيط الضروري واما الكائن المركب العرضي فلا يقتبس الحقيقة الا متجزئة لان « القابل يقبل بحسب طبعه » وهذا لا يعني اننـا لا نعرف الحقيقة حسبما هي بل انه لا يمكننا ان نستغرق الحقيقة بكاملها . فمعرفتنا اذاً حقيقية وان تكن ناقصة لان المعرفة الكاملة لا تتوفر الا عند الكائن الكامل واما الكائن الناقص فمعرفته تقبل تفاوتاً نسبياً وتبقى مع ذلك حقيقية . — تصور مثلاً شيئاً يقترب نحوك عن بعد . ففي باديء الامر تعرف ان شيئاً يقترب منك ولكن تجهل ما هو ذلك الشيء . ومعرفتك هذه حقيقية باعتبار ان كائناً ما يقترب منك وناقصة باعتبـار جهلك لماهية ذلك الشيء . ثم بعد هنيهة يمكنك ان تصعد درجة في سلم معرفتك فتميز ان ذلك الشيء انسان لا حيوان . ثم درجة اخرى اي انه رجل لا امرأة وهكذا دواليك . . . ولكن مهما ارتقى الانسان صعوداً في سلم المعرفة فلا يمكنه ابداً ان يتوصل الى استغراق وحدانية المعرفة او الحقيقة لانه من طبعه مركب ومتناه والوحدانية غير مركبة وغير متناهية .

فالحقيقة اذاً واحدة ذات اوجه مختلفة . كونها واحدة تطبق على الكائن الاوحد اي العلة الاولى وكونها ذات اوجه مختلفة تطبق على الكائن العرضي ، على العقل البشري الذي لا يمكنه ان يدرك وحدانية الحقيقة لعجزه بالنسبة اليها كما ان العين لا يمكنها ان تتفرس في الشمس بسبب ضعفها وعدم اهليتها لقبول تلك القوة من النور .

وقبل ان نتخطى الى ثوماوي اليوم لا بد من كلمتين عن نصف البرهانيين والايمانيين .

يريد نصف البرهانيين ان يبرهنوا على اسرار الوحي بالعقل اي ان يخضعوا الحقيقة اللاهوتية للحقيقة الفلسفية وهكذا فبينما يقرون

صدى البلبل

بقلم الآنسة جميلة العلايلي

✯

سجنوك يا بلبل ، سجنوك ليسمعوا شدوك وسوف يسمعوا بدل الشجو شجناً ولن يفهموا !! ذلك لانهم لا يعلمون بواعث الشجو واسرار الشجن . كل صوت في اذنهم نغم !!

آه لو اطلقوك لتغني سيسمعون بدل الشجن شجواً وتتفتح امام بصائرهم ابراج جديدة ويتراءى اليهم عن طريقك اهازيج الملائكة وتسابيح القديسين المقربين .

سجنوك يا بلبل ، وها انت تغني بغير صوت غناء ، فيه حرارة احر من اللهب . انا مثلك ايها البلبل ، اغني بغير صوت لاني حبيسة .

وليس سجني كسجنك يا بلبل .. قضبان من نحاس وحديد . اغاسجني شبكة من خيوط حريرية نسجها ضميري وحبكتها يداي .

ولكن .. رغم سجنك وسجني .. نعيش فوق الارض نلمح من وراء الافق سبحات الملائكة ورفرفة الارواح المجنحة وخفقات القلوب الصافية .

قل لذلك السائر التائه يلتفت للسماء مرة

ولكنه لن يستطيع لانه لم يعش فوق اوهام الارض مرة

قل لذلك الجبان الرعديد يقاوم يأس نفسه مرة

فسوف يذوق حلاوة الشجاعة فينجح بعد الفشل .

قل لذلك المنافق المرائي ليصدق مرة

فسوف ينتقل بروحه الى برج النور فيشعر بالطمأنينة مرة

قل لذلك الضعيف المتردد يشد ازره ويتقدم مرة

فسوف ينال حظه من الامل مرة

قل للرجل اتق الله في المرأة ، وقل للمرأة اتقي الله في الرجل فانهما لن يعيشا في هذه الدنيا غير مرة

لطالما غنيت يابلبل فمن جاوبك بقلبه ومن استمع اليك بروحه وها انت تصمت بعد اعياء . ومع ذلك في صمتك بلاغة ابلغ من بلاغة البيان وروعة الكلام .

لقد تكلمت كثيراً وسمعتك يا بلبل ..

وها انت تصمت فهل تسمعني يا بلبل ؟

أتسمعني وانا اقول لهم ، ضعوا على عيني حجاباً كثيفاً يحجب عني ظواهر مادة الحيـاة ودعوني اعيش وحدي مع ارواحكم الشفيفة .. انهم لا يفهمون شدوي الصامت لانهم لا يتلمسون نور

من جهة بوجود الوحي يدغمونه من الجهة الثانية مع الفلسفة بنوع ان الحقل الذي فوق الطبيعة يمتزج مع الحقل الطبيعي فتصبح الحقيقتان اللاهوتية والفلسفية حقيقة واحدة وذلك تعزيزاً لنزعتهم . وبالنتيجة يختلف نصف البرهانيين نظرياً عن البرهانيين ولكنهم يتفقون معهم عملياً بعدم تمييز الطبيعي من « فوق الطبيعة » .

وبالعكس ، يريد الايمانيون ان يرجعوا الى الحقائق الايمانية كل الحقائق الفلسفية التي تفوق الاختبـار كحقيقة وجود الله وحقيقة تفوقه اي تمييزه الحقيقي عن العـالم وحقيقة خلود النفس وهكذا فبينـا البرهانيون ونصف البرهانيين يعظمون العقل وينسبون اليه ما ليس له فالايمانيون بالعكس يحقرونه ويسلبونه تلك القوة التي وهبته اياها العلة الاولى . وبما ان الطرفين يلتقيان فالايمانيون ايضاً يخلطون بنظريتهم هـذه بين النظامين الطبيعي وفوق الطبيعي .

ومن المشاحنة بين هذين المذهبين اللذين هما على طرفي نقيض اي بين البرهانيين ونصف البرهانيين من جهة وبين الايمانيين من الجهة الثانية طرحت من جديد على بساط البحث قضية العلاقة بين الفلسفة والدين

جونيه — يوسف الحكيم

ارواحهم يا بلبل ..

تعـال نعطف عليهم يا بلبل لانهم لا يفهمون حقيقتهم ولا يقيمون لارواحهم وزناً ، ذلك لأنهم يعبدون المـادة ويتحاربون من اجلها ويموتون في سبيل الاستيلاء على كنوز من الطين فاطلب لهم الرحمة يا بلبل ..

مالك تشيح بوجهك عني ايهـا البلبل أتظنني ابذل دمي في سبيل الاوهام كما يظن الناس ..

اذن دعني وحدي اسعى في سبيل تدعيم الخير بقدر ما استطيع لهذه الانسانية المعذبة ..

دعني اضمد جروح البؤساء بحناني وعواطفي علّي استطيع ان ابدد كآبة النفوس واجفف دموع الحزانى .

ايهـا السائرون في الطريق وعلى عيونكم غشاوة كثيفة من اباطيل الحياة حجبت عنكم النور المقدس

عزاء لكم .. عزاء لكم ..

ايها الغريب النـائي ، خذ من دمي حرارة تعينك على تحمل لوعة الحنين للوطن الغالي .

ايها اليتيم الحزين ، خذ من قلبي حناناً يملأ فراغ قلبك الشاكي

ايها المحب المحروم ، خذ من فؤادي عطفاً يلطف حدة قلبك .

ايها الشاعر الصامت ، اعزف على قيثاري اسرار نغمك

ايها المريض البائس ، خذ من دمي دواء برئك

ايها الحالم الساهم ، في خاطري سبحات ذهنك

ايها العابد المؤمن ، دعني ارجع يقين حسك

ايها الطريد الشريد ، على شعاع خيالي سر في طريق املك :

ابناء مصر ، ابناء سوريا ولبنان ، ابناء العراق وتونس ، ابناء العرب اينما كنتم ..

في البحر والبر وفي الارض والسماء

اني معكم جميعاً ، معكم نسمة معطرة بشذى البنفسج

معكم حرارة تسري في شرايينكم

معكم خفقة في قلوبكم

معكم قبس من نور ارواحكم

معكم سر من اسرار ايمانكم

انني اعيش في كل قلب يتفتح للنور

واحلق مع كل روح تجنح للعلاء .

انني حلم يجيء مع الفجر لينسحب مع الشروق كي لا يرى اباطيل الحياة .

من يأخذ ما تبقى من عمري ويمنحني لحظة من لحظات المعرفة السرمدية ؟

الا من عدسة الهية تنقل صورة قلبي ليرى العالم لوناً من القلوب جديداً يحمل في اطوائه .. خلاصة حب الانسانية

اني احب العالم كله وبودي لو اضم العالم بين جانحي ثم اخرج به الى الدنيا سلاماً وامناً وصفاء ونقاء ..

فلا يحـارب القوي الضعيف ولا يذل الغني الفقير ولا يأكل الانسان لحم اخيه

يعيش الرجل في كل شعب وعلى أي ارض كما عاش آدم .. مؤمناً قانعاً عاملاً مجداً

وتعيش المرأة في كل شعب وعلى أي ارض كما عاشت حواء طاهرة عفيفةشريفة مؤمنة لا تعرف في دنياها غير زوجها واولادها تخشى الله وترعى مملكتها من اجله ..

أين من يفهم فيم جلال الحياة ؟

انه في الحب

لحب المثالي .

حباً عاصفاً مشبوباً قوياً فتياً فيه من نور الله قبس ومن جلاله لمحة . ومن اجل هذا الحب ..

احرق ذاتي وتحرق ذاتك بخوراً على مذبح الانسانية المعذبة .

من اجل هذا الحب ، نعمل ونجد ونكافح

من اجل هذا الحب نسعى ونضحي

من اجل هذا الحب نتمسك باذيال الفضيلة ونؤمن ونصلي

من اجل هذا الحب لا نفرق بين شعب وشعب او بين جنس وجنس او بين دين ودين ..

كلنا اخوان شعارنا الحب وديننا الحب ورسالتنا الحب ..

نذود عن الحق على ضوء الحب

ونحارب الرذيلة من اجل الحب

ونقضي النهار وشطراً من الليل مكافحين من اجل الحب

ونحارب العدوان اينما كان من اجل الحب

واخيراً نتكاتف جميعاً لنحارب الحقد والضغينة ونوطد اركان الحب . ليحيا العالم في سلام

فهل نبلغ هدف هذه الاحلام ؟

ارجو

مصر — المنصوره

جميلة العلايلي

معجم الالفاظ العامية العربية والدخيلة

بقلم عيسى اسكندر المعلوف
عضو المجامع العلمية في مصر وسوريا والبرازيل

✯

[ن]

ناصح ونصحان – بمعنى سمين الجسم عند الفصحاء . ومثله لحيم وجسيم وبدين وربل . اي كثير لحم الجسد خلاف المهزول والهزال ضمور الجسم نقيض السمن . والهزيل الضامر القضيف الناحل .

ناموس -- يونانية بمعنى الشرف . وبمعنى الشريعة مثل ناموس الجاذبية . والناموس الطبيعي . وتأتي اسماً لدويبة صغيرة غبراء وهي البعوض والبرغش . ومنها اخذوا اسم غطاء الفراش ونحوه لانه يمنع دخول تلك الحشرة على النائم فقالوا (الناموسية) وهي الكلة .

النربيج – فارسيتها (ماربيج) بمعنى التفت الحية لانه يشبهها يتخذ للشرب بالنارجيلة تعريب الناركيلة اي الجوزة الهندية لانها اتخذت اولا منها ثم صارت من زجاج فيسميها الاتراك (الشيشة) اي الزجاجة . ويسمي المصريون النربيج (اللاي) – وتقول العامة نبريش ونبربيج ايضاً

النرد – فارسية وهي لعبة معروفة عندنا بلعب (الطاولة) وتكون من سبع لعبات واختلفوا في من وضعها . ولها قطعتان ترميان لمعرفة الغالب من المغلوب تسميان (الزهر) وهي تحريف (الزار) الفارسية بمعنى الحظ . فلما اراد العرب تعريبها رأوا ان (الزار) عندهم حبشية بمعنى الجن ففيها تنافر فقالوا الزهر ليكون الحظ بها ميسوراً .

النز – ما يتحلب عن الارض من الماء فارسيتها (نزه) .

النشا – ما يستخرج من الحنطة بطريقة معلومة . وهو من الفارسية (نشاسته) و (النشاستج) حذف شطره تخفيفاً . ولعل الكلمة ارامية بمعنى الحوارى اي نقي وصفي (كما ذكر ادي شير) .

النعنع – من الفارسية (نانه) ويقولون (نعناع) وهو بقل طيب الرائحة معروف .

النفير – البوق . فالنفير تعريب (نبور) الفارسية والبوق من اليونانية وهما آلة موسيقية .

النموذج – والانموذج تعريب (نموده) الفارسية بمعنى المثال من الشيء والعامة تقول (الششنه) .

نوّص القنديل – اذا خفف ضوءه لفظة سريانية .

نيرة الاسنان – اللحم الاحمر الذي تنبت فيه الاسنان في الفكين العلوي والسفلي فصيحها (اللثة) . وقيد الاسنان هو اللثة اي ما حول الاسنان من اللحم .

نيل – اصله من اللغة السنسكريتية (Nila) اي ازرق ويقال بالفارسية لعصيره (نيله) ومنه (النيلج) بالعربية وهو دخان الشحم يعالج به الوشم (عن ادي شير) .

نيمبرشت – مركبة من (نيم) بمعنى نصف ومن (برشت) اي مشوي وهو اسم للبيض الذي يشوى نصف شيّ والعامة تقول (برشت)

[هـ]

الهادس – تحريف الهاجس من هجس الشيء في صدري اذا خطر ودار في خلدي . وقولهم ما يهجس في الضمائر اي من الافكار . والهاجس الخاطر صفة غالبة عليه جمعها (هواجس) . وهدس سريانية بهذا المعنى .

الهامه – تقول العامة فلان كبير الهامة اي طويل القامة سمين الجسم لعلها تحريف الجهامي بهذا المعنى .

هبوصه – المال الذي يجعل في قارورة لحفظه الى حين الحاجة تقول العامة (فلان عنده هبوصه) اي مال كثير (راجع الدوائر السريانية للاب حبيقه)

هردب عليه – اي توعده وزجره وفصيحها تهدم عليه غضباً اي توعده . ومعنى هردب عدا عدواً ثقيلًا فلعلهم اخذوه من معنى هجم عليه ليضربه .

هشل الرجل – بمعني فر وامعن في الهرب كأنها من اهتشل الفرس ركبه من غير اذن صاحبه . والهشيلة ما ركبه . واهشل الرجل اعطى الهشيلة .

هفي الرجل – اذا لم يشبع من الطعام واكل كلما يقدم له . وفصيحها (جرز) اذا لم يترك على المائدة شيئاً فأكله فهو جروز . والاسم الهفيان والمفجوع الذي لا يشبع وفصيحه الجاروف والاجشم والاكول والنهم والجروز والغذم والمتغذم اي الاكول الذي يأكل كل ما حضره والقارت والمقترت الذي يأكل كل شيء وجده .

هلس – كلام هلس اي لا طائل تحته . وهلس تكلم باطلًا والفصيح ألس اي خيانة وغش فحرفت هكذا .

هلط الطعام – فهو مهلوط اذا اكثر نضجه في الطبخ حتى راب حبه فهو منضج .

هلق – منحوتة من هذا الوقت .

هلهل الثوب – اي تناسلت خيوطه من القدم وخلق . قال ابن السكيت : انه الرقيق النسج وضده الصفيق بمعنى السميك عند العامة . والهل الثياب الرقيقة النسج . وهل الخبز اذا رققه رغيفاً رغيفاً وعند الفصحاء هلهلت المرأة الرغيف رققته ووسعته .

هندازه وهنديزه – فارسيتها (اندازه) بمعنى ذراع ومقياس والفصحاء

يقولون القاطع المثال الذي يقطع عليه الثوب والعامة يقولون التفصيلة أي ما يفصل عليه الثوب .

هوبر – اي ضج كأنها من قولهم في تراويد العرس (هوبر الهوبار) والهوبر هو السوسن او الاحمر منه لعله تحية للعلم الاحمر عند القيسيين وعلم اليمنيين ابيض .

هاي هاي – للتعجب والاستحسان كأنها من (آيا) الفارسية دخلت عليها (ها) التنبيه) وهي عندهم بمعنى عجب يا للعجب يا ترى . ويستعملها الاتراك كثيراً

(و)

واتاه الشيء – اي آتاه بمعنى وافقه وطاوعه .

وجبة – طاقم اسنان يضعه الانسان في فمه اذا (درد) اي ذهبت اسنانه . والوجبة اكل الطعام مرة واحدة في النهار . والجزمة بمعناها .

وجع المفاصل – البدل والرثية وهو ألم يحدث في ما حول مفاصل الاعضاء ويعرف بداء المفاصل .

وجمته ايده – اي وجعته يده فصيحها (نكفت) اليد اصابها وجع .

وحوح البردان – اي اي نفخ من يشكو البرد في يديه ليدفئها فصيحها (كهكه) المقرور تنفس في يده اذا خصرت واكهى الرجل سخن اطراف اصابعه بنفس .

(انا موحوح عليه) – اي انا كثير الاشتياق للحصول عليه

(الوحي يا اهل الوحي) – للاستغاثة فصيحة . وحوت الذي يؤثر به البرد عند العامة (حوحو) ومنه قولهم (حوحي) اي اشتكى البرد .

الورش – الولد الكثير الحركات وعند الفصحاء النشيط الخفيف من الابل وغيرها وهو الورش .

ورقت الشجرة – اي بصت اذا ظهر اول ورقها . وورق الشجرة اذا ازال بعض اوراقها لنمو الاخرى . وراح وتروح الشجر اذا اكتسى ورقاً بعد ادبار الصيف . وقنب الكرم قطع عنه ما يؤذي حمله . وورق الكرم اذا خفف من ورقه ليرتفع ويجود فصيحة وبمعناها اغلى الكرم . وورق الحائط اذا طينه فصيحها (سيع) الحائط والسياع الطين والمسيعة خشبة مملسة يطين بها وتعرف بالمالج .

ورق القزاز – ما يتخذ من الورق المطلي بقطع الزجاج الناعمة (والعامة تقول القزاز في الزجاج) لتسوية الجسم الخشن فيملس اذا حف به . فصيحه (السفن) قال في القاموس (السفن) محركة قطعة خشنة من جلد ضب او سمكة يسحج بها القدح حتى تذهب عنه آثار المبراة والمناسبة بين المعنيين ظاهرة . والفعل سفنه . والعامة تقول (بردخه) . والمسفن ما ينحت به العود ونحوه .

وزّ علية – اذا اخبر عنه ما هو مكتوم . ووزه على كذا تحريف أزه عليه اذا اغراه وحمله عليه .

وزم الجرح – اذا ظهر فيه القيح و (وعزر) بمعناها ايضاً والفصيح امد الجرح اذا ظهرت فيه المدة وهي ما يجتمع في الجرح من القيح .

وشت – تقال لدفع الكلب وزجره تركيتها (اوشت) و (اوش) وهاش الكلب اذا نبح من هاش القوم اذا اضطربوا واختلطوا ووقعوا في فتنة . ووشب الكلاب والمتقاتلين اذا حرش بعضهم على بعض عند العامة وهي تحريف (اشب) فابدلوا الهمزة واواً .

ولاك . ولاه – كلمة زجر اصلها من قول الفصحاء (اولى له) للتهدد والوعيد قال الاصمعي معناه (قاربه ما يهلكه) اي نزل به – قال ثعلب : ولم يقل احد في ـ اولى له ـ احسن مما قال الاصمعي .

ولو – تقال لالفات النظر وللتحقير احياناً وكأنها من التركية « لو » بمعنى انظر الي .

(لا)

مر في باب اللام الماضي ما هو من هذا الحرف فليراجع .

(ي)

ياخور – تحريف آخور الفارسية بمعني « معلف» ومنها « اميرآخور » للذي يتولى علف الدواب عند الملوك والامراء . وكانت العرب تسميه « المربط » ثم إخذوا كلمة « الاصطبل » عن اليونان وشاعت .

ياقه – تركية بمعنى « طوق »

يبراق – تركية وهو ورق النبات يحشى ويطبخ وهو ورق العنب عندنا

يبس – جدار « يبس » اي بحجارة بلا كلس ولا طين فصيحه ضفر البناء اذا بناه كذلك . وسيعه اذا عمره بسياع اي طين كما مرّ .

يبست اصابعه من البرد – فصيحها خصرت يده اذا اثر البرد بها . واقرس البرد اصابعه اذا يبسها فلم يستطع ان يعمل بها . والعامة تقول « كريجت يده من البرد .

يشمق – النقاب يكون على طرف الانف فارسية او تركية وضع له العلامة احمد تيمورباشا « اللفام » . فاذا كان النقاب على الفم فهو « اللثام »

اليقلوم – بيت صغير يبنيه الصياد ليخفيه عن طريدته فصيحه « القترة » و « العنية » هي زبية الصائد اي الحفرة التي يختبىء فيها للصيد ومثلها « البرأة » . و « الجريئة » بيت تصطاد فيه السباع . و « الناموس » قترة الصائد التي يختبىء فيها . ونامس الصائد دخل الناموس ومثله تنمس .

يمشي عاروس صبيعه – اي يمشي على روءوس اصابعه وفصيحه (قار) يقور قوراً اذا مشى الرجل على اطراف قدميه ليخفي صوت مشيه . وقفد الرجل كان اقفد اي يمشي على صدور قدميه ولا تبلغ عقباه الارض .

يواش يواش – تركية تعني (مهلا) على رسلك .

ياما – كلمة قبطية بمعنى كثير فصيحها : كثيراً ما .

الختام

هذه مئات الفاظ من عشرات الالاف في هذا المعجم الكبير الذي استقريت فيه ما وصلت اليه يدي من الالفاظ العامية والدخيلة المتداولة بين الناس وراجعت له كثيراً من المخطوطات والمطبوعات ومحصت ما امكن تمحيصه منها على قصر الباع ووضعت له مقدمة في اللغة العامية وآدابها وموءلفاتها ونشرت منه امثلة قليلة دون استقراء في بعض المجلات والجرائد لتعريفه اما ما نشرته مجلة « الاديب » الغراء هذه فهو امثلة من جميع الحروف كأنموذج للمعجم يعرف منه اسلوبه باستقراء .

ونشرت مقالة مطولة في اللغة العربية العامية وآدابها في مجلة المنار البيروتية منذ اكثر من ثلث قرن، ثم نشرت مقالة مطولة في اللغة العربية العامية وآدابها ولهجاتها ومصطلحاتها في مجلة مجمع فوءاد الاول وانا على غير استحقاق من اعضائه راجياً ممن يطالع ما كتب من هذا القبيل ان يسبل ذيل الستار على ما فرط ويرشدني الى الصواب وما العصمة الا لله .

عيسى اسكندر المعلوف

قصة

جريمة الحقل



للكاتب التشكوسلوفاكي

كارل تشابك

•

قال الحاكم – انت ايها السجين في قفص الاتهام . انهض ، انك متهم بقتلك « فرانترك ليبيدا » صهرك ، ولقد اعترفت في التحقيقات الاولية بانك ضربته عازماً على قتله بفأس هويت بهـا على رأسه ثلاث مرات ، فهل تعترف الآن بجرمك ؟

كانت تلوح على الفلاح شدة العناء ووقدة الالم ، فتمتم وهو يضطرب جزعاً مرتاعاً – كلا

– هل قتلته انت ؟ – نعم

– اذن فانت تعترف بجرمك – كلا

وكان للحاكم حلم الملائكة ، فلم يثره جواب الفـلاح ، فعاد يسأله – اصغ اليّ يا قوندارجيك ، لقد اتضح انك حاولت من قبل ان تدس له السم . اذ قد خلطت بنّ قهوته بسم الفيران .. أكان هذا حقاً .. ؟

– نعم – اذاً فانت تعترف بهذا الذي يثبت سوء نيتك ، منذ امد طويل . ؟ أتفهم ما اقول ؟

فر الفلاح على انفه بيده ، وهز كتفه ، وتمتم – لقد كان ذلك كله من اجل البرسيم ... كان يريد بيعه فقلت له : « يا عم .. دع البرسيم ولا تبعه ، فانني قد عزمت على ابتياع ارانب » فقاطعه الحاكم : – مهلا .. أكان ذاك عشية ؟ فتمتم المتهم – لقد كان عشية ، اجل . ولكن لم كل هذا ؟ ماذا كان يريد بالبرسيم ، لذلك قلت له – يا عم .. على اية حال كان جديراً بك ان تترك لي الحقل حيث ينبت العشب الا انه اجابني انه سيؤول الى ماركا – زوجي – حينما يدركني الاجل ، واذاك تستطيع ان تفعل به ما تشاء .. انت ايها الجشع .

– اذاً فهذا ما دعاك الى ان تدس له السم – اجل

– لانه شاء ان يصفك هكذا .

– كلا ، لقد كان ذلك كله من اجل الحقل ، فقد اخبرني ذات يوم انه عازم على بيعه . فانفجر الحاكم مهتاجاً – ولكن يا صديقي ، لقد كان ذلك حقله ، أليس كذلك . فلم اذن كان عليه ان لا يبيعه فحدج فوندراجيك الحاكم بلوم وقال – لماذا ؟ لقد كان لي بعد ذلك الى جنب ذلك الحقل مزرعة بطاطة ابتعتها آملا ان تتصل بالحقل ذات يوم فيتحدا .. ولكنه قال لي : « ما الذي يدعوني الى ان اهتم بزرعتك فانني قد عزمت على بيع الحقل لجودال .

– ولذا كنتم على نزاع من اجل ذلك

فأجابه فوندارجيك متألماً : – انه لكذلك . لقد كان ذلك كله من اجل تلك المعزة

– أية معزة

– لقد كان يحلب معزتي حتى يجف ضرعها ويدميه ، فقلت له يا عم دع معزتي وهب لنـا قليلا من العشب مما ينبت على حافة الجدول . ولكنه اجر المرعى .

فسأله محلف – وماذا فعل بالمال الذي قبضه ثمناً لذلك ؟

فقال المتهم مهتاجاً – ماذا فعل ؟ : لقد اودعه بالطبع صندوقاً يكثر به المال ، فقد كان يقول لي : « ان ذلك كله سيؤول اليك بعد موتي » ، ولكنه لم يمت .. لم يمت بالرغم من تجاوز عمره السبعين

– اذن فعلى مـا تدعيه انت ، كان عمك مبعث كل تلك الفرقة بينكما .

فأجاب فوندراجيك بخفوت : – نعم .. لم يكن ليسمح لنفسه بان يهب بعض شيء ، اطالما كان يردد على مسامعي « مادمت حياً اسعى على الارض ، فكل ما تملكه يداي اصرفه بنفسي ،

اما ما تهرف به انت ، فحسبك ان تملأ به غليونك ، ولقد قلت له ذات يوم ، يا عم لقد بلغني انك عازم على ابتياع بقرة .. ولما كنت قادراً على حرث الحقل فلا تضطرك حاجة بعد الان الى بيعه ، ولكنه اجابني « حينما اوارى التراب ، ستجد نفسك قادراً على ابتياع لا بقرة واحدة ... ولكن بقرتين ... اما الان فانني قد صممت على بيع تلك القطعة من الارض لجودال

فسأله الحاكم بحزم — انظر هنا يا فوندراجيك . ألم تقتله من اجل ذلك المال الذي اودعه الصندوق فاجاب بثبات .. كان ذلك لاشتري به البقرة ، فلقد رأيت ان تكون لدينا بقرة حينما يموت .. انك يا سيدي لا تستطيع ان تعمل في الحقل دون بقرة تعينك .. أليس كذلك ... والا فمن اين آتي بالسماد .

ثم تدخل المدعي العام — فسأل المتهم — انت ايهذا السجين في القفص ... اننا لسنا نهتم هنا ببقرة ، انما بحياة انسان لماذا قتلته .

— لقد كان ذلك كله من اجل الحقل — ليس هذا بجواب

— لقد كان يريد ان يبيع الحقل . — وما ضر ذلك ان كان كل ما تملكه يمناه ، سيؤول اليك بعد وفاته .

— نعم هو ذاك .. ولكنه لم يرض ان يموت ، فلو انه مات دونما ضجيج كما فعل ، لما ألقيت في نفسي اية رغبة في ايذائه ، ان القرية كلها يا سيدي لقادرة على ان تبرهن لك حسن سيري معه .. لقد كنت احسبه كما لو كان أبا لي .

ثم التفت الى الجمع المحتشد من سكان قريته في قاعة المحكمة وسأله — أليس كذلك ؟

فدوت قاعة المحكمة بضجيجهم مؤيدين قوله

فقال الحاكم بوقار — اجل .. لقد كان هذا ما دعاك الى ان تدس له السم .. أليس كذلك ؟ !

فتمتم المتهم — السم ؟ أفكان عليه اذن ان لا يبيع الحقل ، ان كل امريء ياصاحب السعادة ليستطيع ان يدلك على خير مايمكن ان تصان به الحقول ، اما مـــا كان يقوم به فليس هو من هذا في شيء... كلا . ليس هكذا يعني بالحقول . ثم دوت قاعة المحكمة بتأييد الحاضرين لقول فوندراجيك فصاح به الحاكم — ادر وجهك الي ، والا فسأضطر الى طرد اصحابك من القاعة ، هيا . حدثنا كيف تم جرمك ؟ كيف قتلته ؟

فأجابه فوندراجيك محدثه بثبات .. لا بأس من ذلك ، لقد حدث ذلك كله في يوم احد ، وكنت قد ابصرته آنذاك يحاور جودال مرة اخرى ، فقلت له يا عم : اذا كنت لا املك ان احصل على حقلك فلا تبعه لجودال او سواه ، ولكنه اجابني ، انه ليس مما يهمني ان اعني برأيك فيما افعل ، ايها الحقير . فقلت لنفسي لقد حان وقت ما يجب ان اقدم عليه ، ولذا ذهبت لاحتطب قليلاً من الخشب .

— أكانت فأسك تلك من هذا الخشب — نعم

— أتم قصتك

— ولما حل المساء ، قلت لزوجي ، اذهبي واطفالك الى عمتهم ، فشرعت تعول هنا وهناك ، فقلت لها ان لا تبكي .. فانني ذاهب اليه لا كلمه ، ثم ابصرته مقبلاً الى الحظيرة ، ولما ابصر فأسي قال لي انها لفأسي فأعدهــا الي ، فذكرته كيف يحلب معزتي حتى يدمي ضرعها ، ولم يفد فيه ذلك بل حاول ان يستلها مني عنوة ، فوجدتني مكرهاً على ان اهوى بها عليه .

— لماذا ؟ — لقد كان ذلك كله من اجل الحقل .

— ولماذا أهويت بها عليه ثلاث مرات ؟

فهز فوندراجيك كتفيه واجاب — لا بأس من ذلك ، اننا كما ابصرتنا يا سيدي معتادون على ما يجهد .

— وبعد ذلك .. — بعد ذلك ذهبت لاغفو ..

— وهل غفوت ؟ — كلا ، لقد كان يشغل فكري آنذاك تقدير ثمن للبقرة ، ورغبة تلح بي ان استبدل الحقل بتلك القطعة من الارض على جانب الطريق ، فيستويان معاً ..

— وصبرك .. ألم تحس به موجعاً لما فعلت ؟

— كلا .. ان ما احسست به حينذاك موجعاً ، ان الحقلين لم يتحدا ..

— لماذا قتلته ، لقد كان لا يملك حتى عجلة ، وطالما قلت له يا عم ، ليغفر لك الرب خطاياك ، ليس نهجك بالقويم ، ما هكذا تدار الحقول ، ان معنى ان يملك المرء حقلين ان يملكهما معاً متحدين انه لما يرثى له ان لا يكونا كذلك .. ولكنه .. لكنه برغم ذلك ظل مصراً على بيع قطعة الارض لجودال .

— اذن فقد اغتلته لاجل الربح ؟

فاجابه فوندراجيك مهتاجاً — كلا . لقد كان ذلك كله من اجل الحقل فلو ان حقليه توحدا .. فقاطعه الحاكم :

. هل تعترف بجرمك — كلا .

— اذن فقتل شيخ عجوز لا يعني لديك ثمة شيء . ؟

— ولكنني كنت اقول ان ذلك كله كان من اجل الحقل ، ثم انفجر معولاً ، ليس هذا جريمة ، حاشا ان افعل ذلك .. انه

كما ترى يا سيدي قد وقع بين افراد اسرة واحدة ، فلم اكن لاجد في نفسي ذرة من اقدام على قتله لو كان غريباً ، او على سرقة مال احد او اختلاسه ، انك يا سيدي تسألني عن فرانترك ، ولكنهم قبضوا علي كما يقبض على لص .. لص حقير .. ثم شرق بالدمع .. وراح يبكي .

فقال له الحاكم يواسيه — كلا .. لست بلص ، ولكنك قتلت عمك ، ألا تدري ان عقوبة ذلك الموت

فرد فوندراجيك بيده على انفه وهو يقول .. لقد كان ذاك كله من اجل الحقل ، اجل ، اجل ، هما اوضحت واثبتت التحقيقات والشهادات والاقوال المثبتة او النافية للجرم .

*

كان الحاكم يحدق ساهماً من النافذة ، بينما كان المحلفون يبحثون جرم فوندراجيك .

وقال كاتب الضبط .. (مع الاخذ بالاعتبار كل شيء .. فانه لحادث ليس فيه ثمة حاجة الى كثير من القول .. على ان حال المدعي العام قد اختلف قليلاً ، وعضو الدفاع لا يبدو عليه ان لديه قولاً يريد ان يقوله .. انها في الواقع قضية واضحة فلا حاجة الى كثير من الكلام حولها) . ثم زفر الحاكم وقال : اجل انها قضية جلية ليس فيها غموض ، فان هذا الرجل يفهم الحق والصواب كما افهمها انا وتفهمونها انتم ، ليس ثمة اختلاف بين الفهمين ، ولكنني ارى الحكم عليه ، لما جره عليه فهمه للحق كالحكم على جزار لذبحه بقرة ، او على حيوان الخلد لاقدامه على نبش الارض ليشئ فيها مأوى له ... فليست هذه مسألة قانون او عدالة ، اجل .. هذا هو الواقع .. ثم خلع عنه روبه واردف يقول ، نعم ، هو ذاك .. لقد اجهدني ذلك كله فلأرح نفسي قليلاً — على انني اعتقد ان المحلفين سيفرجون عنه ، وان كان هذا باطلا . ولكنهم سيفرجون عنه . ذلك لان — دعوني اقول لكم ، لقد جئت من اسرة من الفلاحين ، فحينما قال الشاب ان الحقلين يعودان معاً له وانه كان يأمل ان يمتلك قطعة الارض التي بينهما والتي كان يريد صهره ان يبيعها لجودال ، ادركت انني لو اقدمت على اصدار الحكم وفق اي قانون مما شرعته السماء ، فان علينا ان نصدر الحكم اولا على ذينك الحقلين .

أفتدرون ماذا افعل لو كان الامر لي ... انني لاقف خالعاً روبي ، قائلاً ، يا فوندراجيك ، باسم الرب اقول لك ، حيث ان الدماء التي سفكتها تضرع الى الرب ان ينتقم لها ويثأر ممن هدرها ، فان عليك ان تزرع حقليك شوكاً .. وتظل تزرعه ، حتى يدركك الموت .. ليبقى الحقد الذي يحتويه الحقل ماثلا امام عينيك ، حتى آخر انفاسك .

على انني اود ان اعلم ما الذي سيقوله المدعي العـام ، ان الله ليكون احياناً خير من يوكل الامر اليه لاصدار الحكم ، فانه لقادر على ان يوقع بالمرء اقسى ما يعاقب به واجداه على نفسه .. وعلى الناس ولسنا نحن على شيء من القدرة على ذلك .. لا بأس . والان .. الذي قر رأي المحلفين عليه ؟

ثم ارتدى روبه وتنهد وهو يقول .. حسناً .. تعالوا ايها المحلفون .. تعالوا .

بغداد — فيصل عبد الله الحامي

من ذكرياتي

هل عرف التاريخ فاتحاً ارحم من العرب ؟

بقلم عارف ابو شقرا

هنالك .. في ناحية نائية من بلاد الجبل، في ارض الحجر الاصفر الذي اقسم فخر الدين ألاّ يعمر الدير – دير القمر – الا منه .. في ذلك الصقع الذي امتد نظر فخر الدين الى ما وراءه، فبات هو نفسه امتداداً بعيداً للشوف المعني .

هنالك في زاوية من تراث آل سيفا بالامس، وفي دنيا آل مرعب اليوم – في حلبا –، كنا بضعة نفر، جمعت بين بعضنا جامعة الصهر، وجمعت بيننا معاً جامعة الشوف، في منزل انيق متواضع، يوم الاحد الثاني من نيسان من العام الماضي يده بيد عيد الفصح المجيد .

هنالك، في المنزل المتواضع، جلسنا في مترع الضحى، نتناقل الاخبار عن جديد عرفناه من ديارات عكار . فذكر احدنا حلبا، قائلاً انها كثيرة الشبه بالشويفات من حيث موقعها، ونوع تربتها، وارتفاعها، وانبساط الساحل امامها الى البحر . وذكر آخر قرية تدعى «الشيخ محمد» ليس في سكانها محمدي، وقرية تدعى «مار توما» وليس في سكانها نصراني . وذكر ثالث بقايا «عرقة» الموطن الاصلي لهنيبعل – نابغة الفينيقيين في الحرب – ثم شق آخر طريقه في الحديث الى المراعبة وبسطة ارزاقهم وسعة ممتلكاتهم، واقتضت الحال ان يذكر بذكرهم الكرم والضيافة . وهكذا ترامى بنا الحديث الى ذكر العرب ... اولئك الذين لا يذكر الكرم والسخاء الا ذُكروا هم، حتى كأنه وقف عليهم .

حينذاك شقّق الحديث عن العرب، فاتحف واحد بنوادر في الندى والوفاء، وأطرف آخر بطرف من الادب والذكاء، وامتع ثالث بخوالد من عيون الشعر وبواقر من درر النثر . ثم تذاكرنا العلم والعدل، ثم الترجمة والتأليف واشياء غير هذه كثيرة . فكنا متساوقين متساندين، كأننا نصدر عن عقيدة واحدة او نرمي عن وتر واحد .

إنا لكذلك، اذ طلع علينا جماعة يتقدمهم رجل من اولئك الذين كان الناس وما يزالون يتلقونهم بالتوقير ويتخلون لهم عن صدور المجالس، ويلتزمون الصمت في حضرتهم وارهاف السمع لكلامهم . فما اطمأن به مجلسه حتى شاء ان يلقي بدلوه في الدلاء، وان يساهم في الحديث . فجـارانا في شيء مما نحن فيه، حتى تناول احدنا فتوح العرب وحروبهم وما عرفوا به من الرحمة في اثناء ذلك .

هناك انصدع الرأي وانشعب الكلام، اذ وقف الرجل من الفتح العربي موقفاً يعاكس موقفنا، ودخلنا في شيء من المناظرة، ورحنا جميعاً نطوّف في دنيا التاريخ، ننفض كنائن الحوافظ، ونستنشر الاخبار من مدارج الطي، بين اشادة برحمة العرب وانتقاص منها، وردّ معها وردّ عليها، واستطال الجدل على هذا النحو . شاء احدنا ان يعزز حجته برأي العالم الفرنسي السيد غوستاف لوبون حيث يقول : «لم يعرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب» لكن الرجل لم يلبث ان هاجم الرأي مخطئاً، مفنداً ... وانحل عقد اجتماعنا ونحن لم نحل من امرنا على تفاهم ولا انتهينا الى وفاق . ثم كرّت الايام بشواغلها واحوالها .. حتى اقتضت مناسبة ان يعود ذلك الى البال .. فرأيت ان اعلق على ما دار في اجتماع حلبا بالكلمة التالية :

أيعوزنا الدليل على رحمة العرب في فتوحهم وقد اعجب بها ونبه عليها الاباعد والاجانب قبل الاداني والاقارب ؟؟

قبل ان ننظر في شخصية الفاتحين العرب، يجب ان ننظر في الاسس وفي القواعد التي اعتمد عليها اولئك الفاتحون . وفي الانظمة والآداب التي عملوا بموجبها .

اول قائد عربي مسلم يقدم سورية فاتحاً زيد بن حارثة مولى نبي العرب محمد بن عبدالله . سار بجيشه في السنة الثامنة من الهجرة الى مؤتة (جنوب البحر الميت) . وقد اوصى النبي زيداً وجيشه بوصايا، منها قوله : انكم ستجدون رجالاً حبسوا انفسهم في الصوامع فلا تتعرضوا لهم . ولا تقتلوا امرأة، ولا صغيراً، ولا فانياً، ولا تقطعوا شجراً .

ثم جهز النبي جيشاً في السنة التاسعة من الهجرة وخرج هو نفسه على رأس الجيش . ولما وصل الى تبوك ، قدم اليه يوحنا صاحب ايلة فصالحه على ثلاثمائة دينـار . وصالح اهل اذرح على مائة . واسر خالد بن الوليد اكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل وكان نصرانياً وقدم به على الرسول، فحقن الرسول دمه ، وصالحه على الجزية .

وفي السنة الحادية عشرة الهجرية ، بعد موت الرسول مباشرة ، سير الخليفة ابو بكر اسامة بن زيد على رأس جيش الى الشام . وهذه وصية ابي بكر لاسامة : لا تخونوا ، ولا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ولا تذبحوا شاة ، ولا بقرة ولا بعيراً ، وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له .

وفي العام الخامس عشر الهجري ملك المسلمون اللاذقية عنوة ، وهرب قوم من النصارى منها ثم طلبوا الامان على ان يرجعوا الى ارضهم فقوطعوا على خراج يؤدونه قلوا او كثروا وتركت لهم كنيستهم وبنى المسلمون باللاذقية مسجداً جامعاً .

وفي هذا العام نفسه حاصر المسلمون حلب ، فلم يلبث اهلها ان طلبوا الصلح والامان على انفسهم واولادهم ومدينتهم وكنائسهم وحصنهم ، فأعطوا ذلك كله واستثنى عليهم موضع المسجد .

وسار ابو عبيدة من حلب الى انطاكية ، فحاصرها وصالح اهلها على الجزية او الجلاء ، فجلا بعض واقام بعض . فأمنهم ثم نقضوا . فوجه اليهـا ابو عبيدة عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة ففتحاها على الصلح الاول .

ثم كان بعد ذلك فتح القدس صلحاً على يد عمر بن الخطاب . ودخل عمر القدس بنفسه وادركته الصلاة وهو في كنيسة القيامة . فهمّ بالخروج الى العراء ليصلي . فابتدره البطريرك يدعوه للصلاه في الكنيسة ، فقال له عمر : انا اخرج من الكنيسة ابقاء عليها ومحافظة على حقكم فيها . ولو صليت هنـا لجاء المسلمون فيما بعد يقولون : هنا صلى عمر وهنا نصلي نحن . فيحولون الكنيسة الى مسجد .

ويؤثر عن عمر انه رأى شيخـاً من اهل الذمة يستعطي على ابواب المساجد ، فقال له : ما انصفناك . كنا اخذنا الجزية منك في شبيبتك ، ثم ضيعناك في كبرك ، ثم اجرى عليه من بيت المال ما يصلحه .

ثم بعد ان فتح عمرو بن العـاص مصر عمل على تنظيمها . فقسمها الى ايالات وجعل على كل ايالة حاكماً قبطياً . اما الجيش العربي فظل مقيماً في معسكراته خارج المدن . وهكذا اطمأن المصريون وارتاحوا الى الحكم العربي .

في ذلك العهد لحقت رجلاً يهودياً ظلامة من عمرو بن العاص فشكاه الى عمر بن الخطـاب فاستقدم عمر عمراً اليه واقتص منه قائلاً له تلك القولة المشهورة : متى استعبدتم النـاس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً ؟

وفيما بعد اشتط المنصور العباسي في الانتقام من معاهدي لبنان . فدوت غضبة الامام الاوزاعي للحق ، واحتج على الخليفة المنصور منكراً عليه قسوته في معاملة اللبنانيين وشذوذه عن القاعدة التي رسمها النبي حيث قال : من ظلم معاهـداً وكلفه فوق طاقته فانا حجيجه .

ذلك واشباهه من اعمـال الرحمة والشهامة ، قضى ان تساهم المسيحية الى مدى بعيد في النهضة العربية التي شملت الاقطار ما بين الهند والصين شرقاً ومراكش وفرنسة غرباً ، ومن الشمال البعيد الى مجاهل افريقيا في الجنوب .

لقد تم للاسطول العربي بقواده من نصارى الساحل ان يقهر الاسطول البيزنطي ويستولي على رودس وقبرس وغيرهمـا من الجزائر . وتم لمعاوية ان يوطد مركزه في دمشق بانصاره من جذام وقواده من نصارى الشام وباديتها . أجل ، كان من النصارى قواد في البحر والبر ، ومنهم ايضاً وزراء التدبير والمال في البلاط الاموي ، والعاملون على تحضير البدو في الانحـاء والآفاق . ومنهم مهرة المهندسين وحذاق البنـائين الذين شادوا المسجد الاموي بالشام والمسجد الاقصى في القدس ، كما شادوا القصور الرائعة كالحير والمشتى الذين تدل بقاياهما على عظمتها وجلالها . ومنهم المترجمون والمعربون والمؤلفون الذين اغنوا المكتبة العربية بجليل مأثوراتهم ، ونقلوا الى العرب حكمة اليونان والرومـان . والاخطل التغلبي شاعر البلاط الاموي يحظى عند الخليفة عبد الملك ما لم يحظ به شاعر ، ويستطيل بلسانه ونفوذه بما لا يخطر لاحد على بال .

ولقد اعتورت البـلاد ادوار ظالمة مظلمة ، فغشيها الاعاجم تكراراً ، وطغت العجمة على الالسنة والقلوب مراراً واقتضت ان تضيق الرحاب على لغة محمد ، فوسعتها البيع والاديار وانزلها الرهبان منازل الامنة .

واعتورتها ايضاً — لا من ارضها ولا من جوها — اهواء شديدة عملت على صدع الالفة وانشعاب الرأي انبثت افتئاتاً على الحق

اعاجيب السماء

المشترى

افضنا في الشهر الماضي في الكلام على كوكب الزهرة وهو الشهر الذي تكون فيه في اقرب نقطة من الارض وفي الوضع الذي تكون فيه شديدة الضياء وفي هذا العدد نوجه وجهة البحث الى كوكب المشتري وذلك بمناسبة وصوله الى ابعد ما يكون عن الشمس حيث يعبر خط الزوال في منتصف الليل وبذا يبدو على احسن ما يكون في سماء الليل .

كان المشتري يعتبر بالآلهة عند قدماء اليونان وكانت تنسب اليه علة الانواء والعواصف وهو يمتاز بلمعانه الذي يضاهي الزهرة وهو يتحرك حول الشمس في دائرة تقع خارج فلك الارض واذا نظرنا اليه من مكاننا القريب في الشمس فانه لا يظهر دائب الدوران حول الشمس فحسب بل دائب الدوران حولنا ايضاً ولذا كثيراً ما نراه في سماء الليل الحالك في اتجاه بعيد عن الشمس وبذا يبدو نجماً رائعاً والواقع انه قد يكون في خير حالاته ألمع اجرام السماء كلها فهو وان كان اقل لمعاناً من الزهرة الا ان الزهرة مصباح يشتعل معظم الوقت في ضوء النهار او في السفر في حين ان المشتري شمعة تحترق في ظلام الليل الدامس فليس عليه التنافس مع ضوء الشمس الشديد السناء .

واقل بعد للمشتري عن الشمس هو ٥٣٠ ٧٨٢ ٤٥٢ ميلاً واكثره (٧٦٨ ٦٠٣ ٤٩٨) ميلاً واوسطه ١٤٩ ٦٩٣ ٤٧٥ ميلاً أي قدر بعد الشمس عنا خمس مرات واهليليجية فلكه اقل من اهليليجية جميع افلاك السيارات وهو يسير ببطء باقماره التسعة بمعدل ١ و ٨ ميلاً في في الثانية . ويكمل دورته حول الشمس في ٤٣٣٣ يوماً أي ١٢ سنة تقريباً ويدور حول نفسه مرة في كل ٩٫٩٢ ساعة ويبلغ طول قطره (٨٩٠٠٠) ميلاً أي عشر قطر الشمس ونحو احد عشر قطراً ارضياً وجرمه اكبر من جرم الارض ١٤٠٠ مرة ويزيد عن مجموع اجرام جميع السيارات ما عدا الارض ولو كان بعده عن الارض يساوي بعد القمر لظهرت هذه الكرة مائلة لفسحة تساوي الفسحة التي يشغلها البدر ١٢٠٠ مرة . وكثافته اقل بكثير من كثافة الارض فهي لا تزيد على ٠٫٢٤ من كثافتها اما زنته فهي اثقل من الارض ٣١٧ مرة أي انها ضعف وزن كل السيارات الثمانية الاخرى مجتمعة . وتكاد برودته ان تكون فوق التصور فمقدار الحرارة التي نتلقاها منه تبين ان درجة حرارته لا بد ان تكون (٢٧٠) درجة فرنهيت تحت الصفر (١٣٢) درجة مئوية تحت الصفر . وهذه البرودة ليست بكافية لتجميد الماء فحسب بل ان اكثر الغازات شيوعاً كغازات جونا تستحيل معها الى سوائل . ولا يكاد يوجد اختلاف بين اطول النهارات والليالي فيه وذلك راجع لقلة ميل محوره على سطح فلكه . ويمكن وصف المشتري بنظام شمسي مختصر فان اقماره ترافقه في دورانه وتتغير مواقعها بنسبة بعضها الى بعض في كل ساعة واكبر هذه الاقمار يظهر لسكان المشتري في حجم قمرنا تقريباً وثلاثة في مثل نصف حجمه والبقية اقل كثيراً ويظهر على وجه المشتري خطوط تختلف عرضاً وعدداً على موازاة خطه الاستوائي وهي تنتهي قبل وصولها الى حوافي قرصه وبينها فسحات يظن البعض ان توازيها يدل على بجار من الهواء قوية جداً في نواحي خطه الاستوائي تشبه ريح البحار على ان الارصادات الحديثة اثبتت انها علامات جوية كما يتبين من عدم دوامها واذا فرضنا ان المشتري آهل بالسكان فانهم يرون السماء في أبهى حلة اذ يرون فيها فضلاً عن النجوم اللامعة اقماره التسعة التي لكل منها وجه خاص .

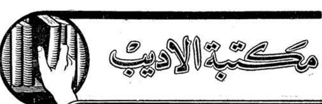
الكويت — صالح محمد العجيرى

وشذوذاً عن القاعدة . والحق يأبى الا ان يظل حقاً ، والشذوذ عارض لا يبنى عليه قياس . والقاعدة الصحيحة الاصيلة ما تنفك تعمل عملها وتتحطم على صخرتها الاهواء ما كر اللونان .

هذا غيض من فيض قدمناه تعزيزاً الرأي وتأييداً للنظر . وما علينا ان نجمع تاريخ اجيال في نبذة من مقال . لقد كان العرب رحماء في فتوحهم ، وكانت رعاياهم ترى ذلك وتكافيء عليه عوناً وتأييداً . وعلى هذا الادب تلقى الاسلاف الزمن فتعاونوا وتبادلوا خيراً بخير ونصرة بنصرة .

واليوم . . والعروبة تلم شعثها وتؤسس في اقطارها نهضاتها فما بال حفنة من العرب في هذا المستطيل من الارض ، تتنكر للحق وتغاير الواقع ، فتقدم رجلا وتؤخر اخرى !!؟ ألا فليتق الله في الاخوة العربية نفر من « المتأجنبين » واهل القطيعة . فالعرب عرب قبل الاديان : قبل النصرانية وقبل الاسلام !!

عارف ابو شقرا



١ — في حنايا الدرج

للاستاذ احمد مكي — ٩٠ صفحة — منشورات دار النهضة — بيروت

اذا كان من الجائز دائماً ان يُحكم على شخصية المؤلف او عن مرحلة من مراحل حياته من خلال ما يكتب ، فبوسعنا ان نقول ان احمد مكي كان حين كتب مجموعته القصصية « في حنايا الدرج » يمر بمرحلة من « الخيبة » المتصلة في حياته ، وانه اذا كان اذ ذاك مغامراً ، فهو مغامر مخفق ولا شك !

فهذه المجموعة تتميز بهذا الشعور المؤلم الذي يخالج المرء خاب امله المرتجى منذ زمن بعيد ، فسبع قصص من ثمان تنتهي بهذا الشعور حتى ان القارىء ليصبح على يقين بعد ان يقرأ القصتين الاوليين بان الباقية مثلهما في الخاتمة فلا يجد الا ان يشعر ببعض الملل من رتابة القصص ، وتشابه خواتيمها .

وابطال هذه القصص — جلهم — نساء ، ونساء من الطبقة الفقيرة والمتوسطة لهن جوخاص ، يكاد يكون ، لوناً « بالفضائح » والعيوب . . . وهن على كل حال يأملن وينتظرن ، ثم يمنين بالخيبة : « في حنايا الدرج » و« نهاية » و« انتقام » و« انتظار » و« يعجبني » و « في رفقة الاشباح » .

واذا علمنا ان الطابع المحلي يشمل هذه الاقاصيص ، خرجنا بان المجال الذي كتبت فيه ضيق ، والافق الذي تضطرب فيه محدود .

فالمؤلف اذن قد حرم القارىء ان يعرفه ككاتب قصة « عالمية » وككاتب قصة « متنوعة » .

غير انه لا سبيل الى الانكار بان المؤلف مجيد في الجو الذي اختاره للكتابة ، بل هو يبلغ ذروة التوفيق في قصة « انتظار »

هذا من حيث جو المؤلف الفكري . اما اسلوبه في كتابة القصة ، فهو الاسلوب الواقعي الذي تتوجه جل عنايته الى « الحادثة » وسردها باسهل طريقة . ولا يهتم المؤلف الا بقدر ضئيل للتحليل النفسي الذي تعتبره القصة الحديثة اولى دعائمها . مع ان بعض اقاصيصه تفتقر الى هذا التحليل افتقاراً لا تستقيم بدونه ، كقصة « نهاية » ، فلو ان هذه القصة اقيمت على التحليل لانتهت بـ « عقدة » رائعة حقاً ، اعني لما كان ثمة حاجة الى ان يذكر ما ازمعت البطلة عمله بعد خيبتها ، وانما يترك ذلك للقارىء .

ويسعني كذلك ان اقول ان خاتمة « في حنايا الدرج » لم تكن موفقة ، على عكس خاتمة « انتقام » .

واذا لم يكن بد من الاتيان على ذكر الاسلوب اللغوي ، فهو اسلوب سهل سلس لا تنقصه الرقة ولا يعوزه التلوين .

٢ — اللباب الذهبي

للاستاذ محمد امين حسونة — ١١٦ صفحة — القاهرة

مجموعة اعمال قصصية ملخصة عن طائفة من كتاب الغرب . والكاتب يقدم لكل قصة بمقدمة قصيرة عن مؤلفها . وفكرة تلخيص روايات او مسرحيات عالمية بقلم كتاب مشهورين ، في عدة صفحات — فكرة عقيمة جداً . فان هذا التلخيص قتل للرواية ، لانه يفقدها حرارتها وافكارها ومعانيها ، فضلاً عن انه يعقدها الى حد .

غير ان المؤلف قد وفق الى تلخيص بعض هذه القصص ، واسلوبه في التلخيص عادي طبيعي ، ولعل ذلك راجع لاضطراره الى الاقتضاب .

فنرغب الى الاستاذ حسونه ان يكتفي بترجمة القصص القصيرة حتى لا يضطر الى اختصارها ، او ان يؤلف الروايات والقصص فتظهر فيها القوة والجمال .

٣ — انا مخطوبة

للاستاذ يونس يوسف — ١٦٠ صفحة — مكتبة الشبيبة — طرابلس

رواية فتاة حملت في حياتها سلسلة من الآلام ، احبت شاباً خطبها ، ولكنها ما لبثت ان علمت انه مريض بداء معدٍ قتال ، وهو مع ذلك لا يبالي ، ينثر هذا الداء في كل مكان بشهوته الحيوانية . . . ثم احبت شاباً آخر واحبها ، ولكنه كان شاباً يؤمن بالطهر والعفة والبراءة ، وينصرف عنها لانها اظهرت له رغائب جسدية . . . وظلت هي على حبه ، وقد تبدلت آراؤها في الرجال ، حتى اعتورها داء السل فماتت به .

والرواية كهيكل قصصي ضعيفة ، لا سيما في نهايتها المعقدة تعقيداً لا حاجة اليه . بيد ان فيها لفتات فكرية وآراء فلسفية

لا تخلو من جمال وترة ، غير ان هذه الآراء من الكثرة بحيث تبعث الملل ، والملاحظ ان المؤلف يعمد اليها بين فصل وآخر ، او مقطع ومقطع ليخفي ضعف الانتقال . وعنصر المفاجأة فيها مصطنع ، اذ انها لا تتكشف الا عن استئناف الحادثة الماضية ، وحبكة الرواية ليست قوية ، وفكرتها مضطربة وفي القسمين الاول والاخير منها تفصيل لا يغري كثيراً بمتابعة الرواية

واما الاسلوب اللغوي والتعابير واختيار الالفاظ فلا بأس بها على الاجمال .

ولكن لا يسعنا ان ننكر ان للمؤلف استعداداً طيباً لكتابة الرواية .

سهيل ادريس

اساطير شرقية

للاستاذ كرم البستاني — ١٦١ صفحة — منشورات دار المكشوف ببيروت

لعل اقل ما ظهرت العناية به من جوانب التاريخ على اقلام كتابنا ، هو هذا الجانب الاسطوري . فظل غير محتفل به وهو حياة وفكر وخيال ، شيء بعض منه على بعض والتأم في واقع مفروض ، سجل اولى نبضات الحياة البكر . فكان غنياً بالايحاء ، وكان همساً في لا وعي الحياة يجد تراجيعه في اعماق الحي .

ان هذا الجانب الاسطوري في حاجة التاريخ ، مثلما هو في حاجة الحي ، اما هو في حاجة التاريخ فلتوفير النقد وقياس ابعاد الفكر في حركة تطوره الصاعد ، واما هو في حاجة الحي فلتوفير اللذة واشباع النهم في حاسة الفن .

لهذا بتنا نشعر بمبلغ التقصير الذي ابقى الاسطورة خارج نطاق الحياة في دنيا الكتاب ، ولا سيما الشرقية منها . فجاء كتاب الاستاذ البستاني ، وفياً بهذه الحاجة المزدوجة في احسان كبير لم يخطئه في الموضوع والاسلوب .

وشاء الاستاذ المؤلف تحقيق شيء آخر زاد في قيمة الكتاب وهو :

١ — تناول الاسطورة بالبحث القائم على بيان صلة كل اسطورة منها بالتاريخ ، وعلى تبيان الاعلام وتحقيقها .

٢ — ايراد طائفة من حياة الاسطورة في الادب ، مثل قطعة على لسان ادونيس للاستاذ هكتور خلاط ووصف ادونيس للدكتور حبيب ثابت .. ونحن في كثير من الاغتباط نعرف القراء به ، ونتمنى له ما يستحقه من الذيوع والانتشار .

الفضيلة العربية

للاستاذ زهير ميرزا — ١٤٩ صفحة — منشورات دار اليقظة العربية بدمشق

هي قصة طالما الفنا حديثها ، وان تكن مأساة ومأساة مثيرة . انها مأساة وضعت الحب الخالد في غير نوازع اللحم والدم ، وان تكن اتصلت منها بالحياة . فقد خفقت خفوق القلب في غير رسوب ، وتقلبت في لهيب النزوات الحمراء ، ولم تحترق . تلك هي مأساة قيس وليلى التي طالما الهمت كثيراً من الادباء والشعراء في قديم وحديث ، وستظل معيناً خصباً لادباء وشعراء كذلك . ولقد وفق الاستاذ ميرزا توفيقاً بعيداً ، الى احيائها في الوان ناطقة بالفضيلة العربية ، التي ان وجدت صنوها فاحلام شعراء ، واما هي حياة ، فما عرفت الا عربية ، وعربية خالصة .

التعليم الريفي والزراعي في تركيا الحديثة

للاستاذ حسن احمد السلمان — ٦٠ صفحة — مطبعة التفيض بغداد

يضع المؤلف بين ايدي رجال التعليم هذا الكتاب عن تركيا الحديثة ، وقد تناول فيه شرحاً وتحليلاً لناحية مهمة من نواحي النهضة التركية ، فقد شعر الاتراك ان التعليم الريفي هو اللبنة الاولى لكل تقدم اقتصادي ، وهو الحجر الاساسي لكل تطور اجتماعي ، ولهذا وجهوا عنايتهم كلها لنشر هذا النوع من التعليم وبث مبادئه . وقد قطعوا شوطاً بعيداً في سبيل تحقيق هذا الهدف جنوا الثمار الطيبة ، ولن يمضي وقت طويل حتى تقضي تركيا على الامية وتخلق من ابناء ريفها وقراها رجالا اشداء عاملين في شتى الميادين الاقتصادية والاجتماعية .

وتقسم محتويات الكتاب الى اربعة اقسام : القسم الاول منها هو « التعليم الابتدائي الريفي » ويتناول قانون تنظيم التعليم الريفي ومنهجه ، وبناء المدرسة الريفية ولوازمها ، ومعلمها ، والامتحان فيها ، وتفتيشها . ومميزات هذا التعليم .

والقسم الثاني هو التعليم الاولي الريفي .

والقسم الثالث هو « معاهد اعداد معلمي الارياف » ويتناول قانون هذه المعاهد ، ووصفاً عاماً للمعاهد المختلفة ، ويخص بالذكر من هذه المعاهد معهد قرية « الاربفية » ومعهد « كزيل جولو » ، ويختم هذا القسم بتحليل الدراسة في هذه المعاهد فيرى انها دراسة تثقيفية ومهنية وتوجيهية ولامنهجية ويبين كيف تستهدف الدراسة التثقيفية تزويد الطلاب بمعلومات علمية وادبية لا تقل بمستواها العلمي عن الدراسة المتوسطة . وتستهدف الدراسة المهنية اثارة

قابليات التعليم في نفوس الطلاب واعدادهم اعداداً تربوياً كافياً .
وترمي الدراسة التوجيهية الى جعل الطلاب يألفون الحياة الريفية ويستطيعون الحياة الزراعية بما فيها من شظف في العيش وكد وتعب في العمل اليومي . وغاية الدراسة اللامنهجية تزويد الطلاب بشيء من مبادىء الموسيقى والغناء والرقص القومي ومعرفة اصول قيادة المحركات واصول السباحة وركوب الخيل وغيرها من الاعمال الرياضية .

و « التعليم الزراعي » هو القسم الاخير من الكتاب ، ويتناول المدارس الابتدائية الزراعية ، والمدارس المتوسطة ، ثم معهد الزراعة العليا .

والكتاب بعد هذا العرض السريع ، جزء متمم للكتب التربوية التي نشرت في الاعوام الاخيرة في العالم العربي ، فكتب الهلالي والقباني في مصر ، والحصري في سوريا ، والجمالي في العراق ، تحتاج الى القسم الريفي الذي يوفيه هذا الكتاب حقه ويدرسه في بلد شرقي مجاور . ولا شك اننا في اشد الحاجة الى هذه المباحث التربوية ليسير الريف مع المدينة جنباً الى جنب في التقدم العلمي والرقي الاجتماعي .

رسالة الادب

للاستاذ عبد الرحمن ابو قوس – ٢١٨ صفحة – حلب

هذا كتاب يعالج فيه مؤلفه بعض مشاكل الادب والحياة ، على اسلوب الرسائل ، فينثر في كل رسالة مجموعة من الخواطر ويعرضها عرضاً لطيفاً باسلوب محبب . ويشوب خواطره لون من التشاؤم القاتم ، ولعل المؤلف احس بهذا اللون فقال في مقدمته ان كتابه « مجموعة صادقة لنظرات مخلصة في هذا المجتمع ، هو صدى حسرات ليست غريبة عن اي ضمير ، هو حقيقة مكتوبة بدموع ...

العراق الديمقراطي

للاستاذ اسكندر آل معروف – ١١٠ صفحات – العراق

يشتمل هذا الكتاب على تراجم بعض زعماء العراق ورجالات العرب امثال السعيد ، والمدفعي والباجه جي وعبد المهدي ، وتحسين علي والسيد الصدر ، وعلى جودت الايوبي وصالح جبر ، واسماعيل نامق ، وتحسين العسكري ، واحمد الراوي ، وجبران التويني ، ويوسف العيسى ، وغيرهم من الشخصيات التي يعرضها مؤلف الكتاب عرضاً يدلل به على نواحي شخصياتهم واثرهم في حياة البلاد .

مناهج الترجمة

للاستاذ ادوار البستاني – ١٣٠ صفحة – دار الطباعة الشرقية – بيروت

كتاب قيم يتناول فيه مؤلفه فوائد الترجمة واصولها ، وما هي انجع الوسائل التي تضمن دقتها .

ثم يعرض في الباب الاخير مجموعة من الامثلة والشواهد ، والاستاذ البستاني موفق جداً في تعريب الامثلة التي اختارها . وهذا الكتاب جد مفيد للذين يمارسون الترجمة لانه يفتح امامهم آفاقاً جديدة تسهل عليهم مهمتهم وتعبد لهم طريق عملهم . غير اننا لاحظنا انه يقتصر في امثلته ومقتطفاته على لغة واحدة هي اللغة الفرنسية ، وربما كانت بعض اللغات الاخرى اشد تعقداً لدى ترجمتها .

اقتراح في تيسير القراءة والكتابة في العربية

للدكتور داود الجلبي – ٢٧ صفحة – الموصل

يقترح المؤلف استعمال الحروف اللاتينية لتيسير الكتابة العربية ، وقد قدم هذا الاقتراح الى مجمع فؤاد الاول للغة العربية بالقاهرة .

رأى المؤلف نقص الحروف العربية وعيبها في كثرة اشكال الحروف وتشابهها وعدم تفريقها الا بالنقط ، وعدم كونها على نمط واحد في الاتصال والانفصال ... الخ . ورأى ان علاج هذا العيب هو اتخاذ الحروف اللاتينية مع اضافة حروف واشارات تدل على ما لا مثيل له في الابجدية اللاتينية ورسم جدولاً بالحروف التي يراها كفيلة بتدارك العيب .

وانتقل الى بيان الاعتراضات الموجهة الى مثل هذا الاقتراح ورد عليها بما اعتقده رداً مقنعاً وختم البحث بنماذج من الشعر العربي مكتوبة بالحروف اللاتينية كما اقترحها .

والدكتور جلبي بهذا الاقتراح يشارك عبد العزيز فهمي باشا في رأيه ويتفق معه في الحلول التي يقترحها الا ما كان من خلاف في طريقة التنفيذ .

واننا ، وان كنا لا نقر مثل هذا الرأي ولا نوافق على اقتراحات المؤلف لا يسعنا الا ان نشكره على غيرته على العربية ، هذه الغيرة التي دفعته الى البحث عن وسائل جديدة لتيسير كتابتها وقراءتها .



كنا في فلسطين !

محطة اذاعة الشرق الادنى تدعونا اليها . وها نحن نشد اليها الرحال . ومن نحن ؟ .. ثلاثة . الشيخ عبدالله العلايلي ، والاستاذ الحوماني ، والداعي لكم بطول العمر ، كاتب هذه السطور .

وحملتنا السيارة على اجنحتها تجتاز بنا شواطىء الجنوب . ها هي الدامور ، فصيدا ، فالناقورة ، ثلاثة اماكن شققناها في لمحة . وفي الناقورة وقفنا بحكم الاكراه . رجال الحدود يريدون معرفة ما نحمل من مال ومتاع .

وربما كان شعارنا : « النظافة من الايمان ! ... » . فلم تكن ترزح جيوبنا باعباء النضار . وانعم رجال الحدود النظر في حقائبنا وهم يبتسمون بخبث . فما كانوا يجهلون انها لا تنطوي على الحشيش والافيون والنفيس من الامتعة . فانها لاشبه بحقيبة ناسك متعبد ، والتلميح افضل من التصريح ، وعلى المؤمنين بما نملك اشرف السلام !

ورأى احدنا ان يتلمس السرعة بالايضاح . فقال يخاطب احد رجال الحدود : « نحن مدعوون الى محطة اذاعة الشرق الادنى » أي اننا لا نحمل مواد مهربة . فكان الجواب : « واين الآلات ؟ » قاتله الله ، لقد حسبنا جوقاً للعزف والغناء ، مع ان ليس في وجوهنا ما يشير الى هذه الموهبة . سبحان موزع العقول !

وقطعنا الحدود بسلام . واندفعت بنا السيارة الى عكاء الغارقة ببساتينها في اشجار السرو وقد قامت تخوماً على التخوم . وذكرنا ونحن نمر بعكاء احمد باشا الجزار واليها ، ونابوليون الاول ، وامير البحر سيدناي سميث ، وابرهيم باشا المصري . ووقفت السيارة بجانب جمل ضخم فازددنا انغماساً في المقابلة بين الشرق والغرب ، ولاحت لنا التبعة تحاذي العقال والكوفية فما خفي علينا ان الشرق يصطرع بحضارتين ، ويضطرب بين قوتين تحاول كل منهما الانتصار على منافستها العارمة .

ولم يطل بنا المقام في حيفا . فما حططنا فيها الرحال حتى كانت تنأى بنا عنها سيارة شاخصة الى يافا . وبدا لنا من حيفا الى يافا العجب العجاب . سهول تتلوها سهول الى حيث لا انتهاء ، ولا حد . فالسيارة تنبسط في طفرتها والسهول تتسع في مداها . ولقد جاورت البحر فكنا بها ازاء بحرين ، بحر اخضر وبحر ازرق . وبين الفينة والفينة يطلع علينا كرم من الزيتون او بستان من الفاكهة ازهر شجره فانشدنا الحان الربيع ونحن في لبدة الشتاء . واخيراً ، واخيراً بعدما رضّ السير الطويل اجسادنا ، ظفرنا بطلعة يافا . فحدثتنا عنها بساتينها ثم مغانيها ، بل كانت السباقة الى المنادمة مغاني تل ابيب الحديثة البنيان والطراز .

السلام على يافا المدينة العامرة النابضة بالحياة . ولقد ردت علينا التحية باجمل منها . ولقينا في النخيل المتعالي السيقان في اجمل شارع فيها نديد الارز . هذا يناطح السماء وذاك يناطح السماء .

وما بلغ محطة الشرق الادنى اننا في يافا حتى كانت وجوه العاملين فيها تطل علينا وهي تندى بشاشة ومودة . هذه وجوه عربية صرف تفيض بالرقة والعذوبة . هذا رئيس المحطة محمد بك الغصين ، وهذا الاستاذ نجاتي صدقي ، فالاستاذ سليم اللوزي . ومشينا الى محطة الاذاعة فاغرقنا الاخوان في لطفهم الاثيل واكرامهم المعلم . وهناك عرفنا الاساتذة احمد جرار ، وعمر ابا خضره ، ورشاد بيبي ، وحسن مصطفى . فتحلقوا علينا يسألوننا عن لبنان وعن ابناء لبنان .

وفي فلسطين جريدتان عربيتان هما « فلسطين » و « الدفاع » . مع ان فيها ثماني وسبعين جريدة يهودية . وما كادت الجريدتان العربيتان تنشران نبأ نزولنا يافا حتى اقبل الشباب اليافاوي الكريم الينا يرحب بنا ويدعونا الى المآدب والحفلات . فتنقلنا من حفلة الى حفلة . ومن ناد عامر الى ناد عامر . واحاطنا الاصدقاء المياهين بالرحابة الصادقة والايناس التليد حتى كدنا ننسى بينهم الاهل والاصدقاء . ففتح لنا نادي الشبيبة الاسلامية ابوابه ، ومثله النادي الرياضي الاسلامي ، ومعهد الثقافة . ودعانا الاستاذ مصطفى الطاهر الى نهر العوجا فكانت حفلة من اروع ما نظمت وتنظم يافا لمن تستطيب اقامتهم فيها . ولبينا الدعوة الى دار الاستاذ سعيد الصباغ فاذا نحن في جو انس وطرب وادب وسخاء ، وابى الطبيب حسين الخالدي الا ان يقيم لنا في منزله حفلة جامعة ضمت الخلق العالي ، والرقي الرزين ، والجود المطبوع .

وتجلى لنا في يافا الادب الاثيل والذوق الكميل . فاصغينا

الى الشعر الصافي والكلام النضيد وقد اتحفنا منها الاساتذة محمد العدناني ومحمود الحوت واحمد يوسف بالممتع الانيق .

ولمسنا في الادباء اليافاويين ميلاً قوياً الى الاتصال بادباء العالم العربي اجمع، والاصغاء اليهم بشوق واكبار، ولاح لنا ظمأ روحي الى التفاهم، والوئام، ومبادلة الاشواق . فالاديب منا يلقى هناك آذاناً صاغية، وصدوراً رحبة، ومودات صادقة . وكل ما في يافا يدل على سعي للانطلاق من الجمود، وعلى رغبة في توثيق روابط الالفة بين الشعوب العربية كافة، وعلى مجهود في الاعتكاف على انتاج ادبي رائع مكين . فالكلمة تلقى هناك صداها الشامل حتى ولو قيلت همساً . فالوعي القومي يتواثب في نفوس الجميع ويبشر بنهضة تعقد عليها فساح الآمال . فكأن تلك الفئة من الاخوان تعيش بقلوب العرب وتريد ان تشترك في بناء نهضة الضاد اشتراكاً أيداً، يتدفق بالمثمر النضيج .

يافا، يا يافا! .. ان فيك ليعرف العربي اخاه العربي المضياف. فكنت لنا جنة وكان بنوك بلابل يصدحون . وكيف ننسى الاستاذ امين عقل، ورفيق بك التميمي، والاستاذ ابا الوفاء الدجاني، وسواهم، وسواهم من كرام مغاوير اكرموا فينا لبنان وادب لبنان . حياهم الله فهم بكل محمدة جديرون !

ولن ننسى مآتي السيد فليب مدير محطة الاذاعة البريطاني . فلقد عرفنا فيه الرجل المثقف، الرحب الصدر، اللين الجانب، النبيل الخلق . فما من مبحث الا وله فيه رأي سديد . وكنا من مدعويه الى حفلة على الشاطىء. رقت وراقت . واحيا لنا محمد بك الغصين مأدبة في أحد اندية يافا كان فيها حاتمي اليد، رفيق اللسان.

ورجال محطة الاذاعة يحملون في صدورهم ادباً سوياً . وسنطالع في سلسلة «اقرأ» للاستاذ نجاتي صدقي درساً عن شاعر الروس «اسكندر بوشكين» وارف العمق . فان بوشكين في الادب الروسي اشبه بالمتنبي في الادب العربي، وبشكسبير في الادب الانكليزي . وللاستاذ بيبي قصائد جميلة، وللاستاذ اللوزي كتاب عن اشهر المغنين العرب، وللاستاذ حسن مصطفى مقالات خضال .

وما غفلنا عن تل ابيب نرتادها وهي متصلة بمدينة يافا . وفي جبينها عدنا فوقفنا على صراع الشرق والغرب . فان تل ابيب غربية الطابع، شهدنا فيها اوربا برأسها وقدميها . على ان جمالها يصير الى افول . فالاكداد يعروها . وما كنا لنقع فيها على ابتسامة ولا على وجه جميل في سوى النادر، فكأن الهول يخيم عليها .

وفي فلسطين اسواق للبيع والشراء تدل على جهد . ولكنه جهد الخائف كمن يخشى شراً . فالمرح الملموس في بيروت غير موفور في فلسطين . وما وقعنا على الرخص المتغنية به الحناجر . فالغلاء هنا يكاد يكون هناك واحد الوجه واللون !

وانتقلنا الى القدس وقد ودعنا الرفاق في يافا . وفي القدس نزلنا في ضيافة المنتدى المسيحي وهو من دعانا الى المدينة المعتلجة فيها الاديان. فاقام لنا في ناديه الفسيح حفلة شائقة كنا خطباءها. وفي المنتدى تعرفنا الى الاستاذين عارف العارف وخليل سكاكيني .

والقدس مدينتان، قديمة وحديثة . وفي القديمة يجثم الشرق وفي الحديثة يشرق الغرب . وتأبى السلطة ان يتهدم من القدس القديمة حجر . فهي هي، كما كانت، تحدث الغد عن عظمة الامس .

وفي القدس القديمة دخلنا كنيسة القيامة المشبكة بالحديد مخافة الانهيار . وجثونا عند قبر الناصري المهيب . وتغلغلنا الى الاعماق نبصر تمثال القديسة هيلانة حيث اهتدى رسلها الى صليب المسيح الفادي . واروع الآثار في القبة، امام المسجد الاقصى، لمشيدها عبد الملك بن مروان . فهي تنطق بالابداع الاوفى وقد احاطت بالصخرة تحميها وتقيها . فالفسيفساء المتجلية فيها تدل على اجمل ما صنع الحذاق وما بنى البناؤون . والفسيفساء في معظمها من الذهب الخالص . وما فاتنا مرأى المسجد الاقصى الضخم الاعمدة المقدودة من رخام، المستطيل البنيان . فهو تاريخ جهاد حافل بالاستشهاد الخير . وانثنينا عن المسجد الاقصى الى حائط المبكى . وهو احد جدران المسجد الاقصى نفسه يرى فيه اليهود الاثر الباقي من هيكل اورشليم . وابصرنا عند اسفل هذا الجدار فئة من اليهود تهز رؤوسها جزعاً والتياعاً وهي تصلي لله اسرائيل كي يعيد مجد موسى وهارون . وعند الممر المفتوح الى الجدار مخفر يحتله وطني وانكليزي لرد الغارات عن اليهود المصلين .

وشيد السلطان سليمان القانوني سوراً حول القدس يرد عنها العوادي . ولا سيا حول المسجد الاقصى . وارتفعت امامنا الكنائس الجبارة لمختلف الطوائف المسيحية، بل المساجد الجبارة لمختلف الاديان، بل لاديان ثلاثة هي المسيحية، والاسلام، واليهودية . والغريب، اجل، الغريب، ان مفتاح كنيسة القيامة يقبض عليه مسلم من آل البنيسي . وهو تقليد فرضه عمر بن الخطاب للحؤول دون اصطدام الكهنة بعضهم ببعض وهم ينتمون الى عدة طوائف وكل طائفة تروم الاستئثار بالمفتاح، وليس هناك غير من يدعي لنفسه حصة الاسد . وودعنا القدس بعد يومين طويلين عائدين الى بيروت . ان يوم فلسطين لعظيم !

كرم ملحم كرم

مجمل الأحداث السياسية والحربية في شهر

١ شباط ١٩٤٥ – اقتحمت القوات الروسية مدينة تورين الواقعة على الفستولا الاسفل في بولونيا .

٣ – عقد مجلس النواب اللبناني جلسة تاريخية قرر فيها مواصلة المطالبة بالجيش اللبناني الى ان تسلمه الحكومة الفرنسية الى اصحابه .

٥ – دخلت الجنود الاميركية « مانيلا » عاصمة الفيلبين . وقد تم الدخول الى هذه المدينة بحركة تطويق بارعة تحت جنح الظلام .

تم تطهير بلجيكا بأسرها من الالمان .

عقد مؤتمر في شرق الاردن حضره الامير عبدالله امير شرقي الاردن والامير عبد الاله الوصي على عرش العراق .

٦ – اعلن الجنرال ديغول ان فرنسا تتشبث بمركز ممتاز في سوريا ولبنان فرد عليه الاستاذ كميل شمعون وزير لبنـان المفوض في لندن مفنداً اقواله ومبيناً ان استقلالنا واعتراف الدول الكبرى لا يسمحان مطلقاً بمركز ممتاز لأية دولة اجنبية .

أيدت العراق ومصر مطالب سوريا ولبنان بشأن الجيش .

اجتازت القوات الروسية نهر الاودر قرب برسلو واجتازته ايضاً على بعد ٣ كيلومترات من فرنكفورت باتجاه برلين .

٧ – سقطت طائرة نقل كبيرة كانت تقل بعض هيئة اركان حرب المستر تشرشل فتهشمت وقتل ١٢ مسافراً ممن كانوا بها من كبار الرجال العسكريين .

٨ – سافر السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية الى الحجاز وقابل الملك عبد العزيز آل سعود .

١٠ – احتلت القوات الروسية مرفأ ايلبنغ على الباطيق ، وهو ثاني مرفأ في بروسيا الشرقية .

١١ – استولى الروس على مدينة يلشكو جنوب بولونيا ، وعلى بوترلو الواقعة على ٢٥ ميـلًا الى الغرب من ليجنيتز ، وهي على الخط الحديدي الرئيسي المؤدي الى مدينة ليبزيغ الالمانية الكبيرة .

١٢ – اذيع بيان روسي اميركي بريطاني يعلن ان ستالين وروزفلت وتشرشل قد اجتمعوا في مدينة يالتا على البحر الاسود في الجانب الشرقي من شبه جزيرة القرم ، ودام اجتماعهم ثمـانية ايام ، وكان معهم وزراء خارجيتهم ورؤساء هيئات قيادتهم وغيرهم من المستشارين . وقد قرروا ازالة جميع الاداة العسكرية الالمانية ، والاشراف على الصناعة الالمـانية ومحاكمة مجرمي الحرب ، وسيقضي على الحزب النازي والهيئات التابعة له قضاء مبرماً ، كما تم الاتفاق بشأن بولونيـا بعد الحرب وبشأن تسوية مبكرة للمسألة اليوغوسلافية .

اما ميثاق السلام وهيئة ضمان سلامة العالم بعد الحرب ، على الاسس التي وضعت في مؤتمر « دومبرتون اوكس » فستعد اعداداً شاملًا لتعرض على مؤتمر الامم المتحدة الذي يعقد في نيسان القادم بمدينة سان فرنسيسكو بالولايات المتحدة .

زار رئيس جمهورية سوريا مصر بعد زيارته للحجاز وقد قابل الملك فاروق مقابلات عديدة .

١٣ – اعلن المارشال ستالين تطهير بودابست تطهيراً تاماً بعد حصار ٦ اسابيع وأسر ١١٠ آلاف الماني و٣ قواد .

١٤ – استولى الروس على شنيد موهل الواقعة على ٦٠ ميـلًا غربي برومبرغ وهي نقطة مهمة لتقاطع الخطوط الحديدية في المانيا .

تقـاتل القوات الروسية في شوارع مدينة ليبوس الواقعة على الضفة الغربية لنهر الاودر عنـد منتصف المسافة تقريباً بين فرانكفورت وكويسترن ، وعلى مسافة ٣٣ ميلاً من برلين .

افتتح في القاهرة مؤتمر مندوبي الدول العربيـة التي اشتركت في محادثات الجامعة العربية التي دارت بالاسكندرية في العام الماضي .

١٥ – هاجمت ١٢٠٠ طائرة اميركية – طوكيو ومطاراتها . وبدأ الاسطول الاميركي هجومه العام على عاصمة اليابان .

١٦ – بدأت في القاهرة اجتماعات وزراء خارجية البلاد العربية . لاعداد مشروع جامعة الدول العربية .

١٩ – توفي الجنرال تشرنياكوفسكي في بروسيا الشرقية مـن جراء الجراح التي اصيب بها في الجبهة . وهو يعد من القادة العسكريين الروسيين اللامعين ومن أصغرهم سناً .

٢٠ – اعلن اليوم عن زيارة الرئيس روزفلت والمستر تشرشل لمصر ، فقد قضيا بضعة ايام في مصر قابلا خلالها الملك فاروق والملك ابن سعود وامبراطور الحبشة ورئيس الجمهورية السورية . وقد رافق المستر ايدن المستر تشرشل في هذه الزيارة . وقبل مغـادرة القطر المصري اجتمع الرئيسان تشرشل وروزفلت في الاسكندرية ، وكان المستر ستاتينيوس والمستر ايدن حاضرين هذه المقابلة .

– احتلت القوات البريطانية معظم مدينة « غوخ » نقطـة الارتكاز الالمانية في خط سيغفريد .

٢٢ – احتل الروس مدينة شرسك وهي عقدة مواصلات هامة على خط دانزيغ – شتيتين ، وخط دانزيغ – كوستران .

٢٣ – وافق المجلس التركي بالاجماع على اعلان الحرب على المانيـا واليابان .

٢٥ – امتدت يد اثيمة على الدكتور احمد ماهر باشا رئيس الوزارة المصرية بينما كان يغادر قاعة مجلس النواب المصري فأردته قتيلًا .

ألف محمود فهمي النقراشي باشا الوزارة المصرية الجديدة من الوزراء السابقين واحتفظ لنفسه بوزارتي الداخلية والخارجية .
